wadod.org

الذخائر

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق

عدد خاص عن الغرب الإسلامي ـ الإصدار الثاني

في هذا العدد:

- لمحات في النثر الأندلسي ..... د. خالد لفتة باقر اللامي
- ثنائية الفن والتاريخ في شعر ابن الأبار ..... أ. الحسين الإدريسي
- الفقيه أبو سعيد بن القاسم بن أحمد بن لب ومنهجه في الفتوى..... د. مصطفى الصمدي
- خطبة طارق بن زياد بين الشك واليقين ..... د. سعد بوفلاقة
- جواب اعتراضات ابن العربي على شرح ابن السيد البطليوسي..... د.وليد محمد السراقبي
- كتاب التنبيه على شذوذ ابن حزم لأبي الأصبغ الجياني (ت٤٨٦هـ)..... د. سمير القدوري
- قريض عبد الكريم بن العربي بنيس في كتاب (السير والسلوك) لقاسم الحلبي الخاني ..... أ. جواد الرامي
- ابن هانيء الأندلسي ـ تأملات في سيرته وأدبه..... أ. حيدر محلاتي
- فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الشيخ محمد علي آل عصفور ـ بوشهر ـ إيران ..... الشيخ حبيب آل جميع
- حواشي وشروح الجامع البوني عند العلماء الموريتانيين..... أ. الشريف بن أحمد محمود
- كتاب (العروضي) وافتراضات المنجي الكعبي الخاطئة..... أ. هلال ناجي
- إصدارات ..... أ. حسن عريبي الخالدي

العدد الخامس عشر والسادس عشر ـ السنة الرابعة ـ صيف ـ خريف ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

wadod.org

حواشي و شروح الجامع البوني عند العلماء الموريتانيين

عرض وتقديم: الأستاذ الشريف بن أحمد محمود(*)

مقدمة:

إن الحديث عن الجامع البوني حديث ذو شجون وشؤون، يتطلب من الدارس تقصي سيرة النحو الذاتية وتتبع مسار الحركة النحوية منذ لامست سنابك خيل الفاتحين أرض شنقيط في العقد الثاني من القرن الثاني الهجري (١١٦هـ)،

ونحن واعون لما لهذا التتبع من مدارج وما يحتف به من طرائق قد يضل بها الباحث الخريت أحرى الغر المتحير،

وما من شك أن شريط التاريخ الثقافي الموريتاني ذو حلقات مطموسة إن لم نقل مفقودة، وفي الحلقات الموجودة نلحظ آراء متطابقة يعزز بعضها البعض، وأخرى متقاربة لا متطابقة ولا متنافية، وثالثة متضاربة يستحيل الجمع بينها (سنرى أمثلة من ذلك في الحديث عن دخول علوم اللغة).

فإذ أردنا رصد الحركة العلمية بهذا القطر نرى أنه في مرحلة الفتح الإسلامي لا تزيد المصادر على ذكر أسماء الفاتحين الأوائل كعقبة بن نافع الفهري (ت٦٣هـ/٦٨٣م)، وموسى بن نصير سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥م[١]، ثم حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري سنة ١١٦هـ/٧٣٥[٢]، وأخيرا عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري (ت١٣٧هـ/٧٧٥م)[٣].

وكان هؤلاء الفاتحون قد تعاقبوا على شكل حملات لنشر الإسلام في إفريقيا، ساعين لربط السودان بالمغرب عن طريق حفر الآبار على الطريق العابر للصحراء والمتمد إلى أودغست[٤].

ثم تتحدث المصادر كذلك عن قيام دولة صنهاجية مسلمة قوية الشوكة في القرون (٢ -٣ - ٤ هـ/ ٨-٩-١٠ م) بسطت نفوذها على أودغست، ولها صلات تجارية وثيقة بالمغرب الإسلامي[٥].

---

* أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة نواكشوط ـــ موريتانيا.

١ -أحمدو بن الحسن الشعر الشنقيطي القرن ١٣هـ ص ٣٩-٤٠

٢ - ابن الحسن: ص ٤٠ و ابن خلدون: التاريخ ج٦/٤٠٤

٣ - نفس المرجع من نفس الصفحة

٤ - نفس المرجع ص ٤٠

٥ - نفس المرجع ص ٤١

wadod.org

ومنذ ظهور حركة المرابطين - التي تعد بحق مرحلة دخول الإسلام الفعلي للبلاد - لاتتحدث المصادر عن وجود حركة علمية في بداية العهد المرابطي حتى استقدم يحيى بن ابراهيم الكدالي - مقدمه من الحج - عبد الله بن ياسين (ت ٤٥١هـ/١٠٥٩م) المعلم الأول للبلاد الذي أنشأ رباطا [٦] منه انطلقت جيوش المجاهدين تنشر الإسلام بقوة في الأقطار المجاورة حتى شملت بلاد المغرب فالأندلس[٧]، غير أن حركة المرابطين وإن تركت بصماتها وآثارها الثقافية وحتى الاجتماعية ماثلة إلى اليوم في المجتمع الموريتاني، فإننا لا نجد ذكرا لآثار علمية ولو في مجال العلوم الإسلامية، فبالرغم من أن المرابطين حكموا مدة خمسة قرون واستتب لهم الأمر ودوخوا في الأقاليم السودانية والمغربية والأندلسية، فإن المصادر التاريخية لم تترك لنا أثرا عن هذه الفترة وإنما تكتفي بأحاديث مفادها أن الإسلام انتشر وعز معتنقوه، واندحر الشرك وولى لغير رجعة وأصبح رجال الدين هم أهل السلطة، لكن لاتسمع ذكرا لأي أثر علمي أيا كان مستواه وتخصصه.[٨]

وإذا تقدمنا يسيرا نحو العهد الحساني (من القرن ٨هـ/ ١٤ م إلى ١١هـ/١٧م) نرى أن هذه الإمارات التي تقاسمت البلاد على مراحل متفاوتة قد أسهمت في تحديد المسار الثقافي لهذا القطر، فلم تكن الهجرات الحسانية صوب شنقيط بقصد الغزو الإسلامي، إذكانت البلاد قبلها قد تأسلمت، ولم تكن كذلك ذات رسالة حضارية تصبو لنشر اللغة العربية - وإن كان لها دور وإن لم تقصده - وفرضها على المنطقة ،وإنما كان هدفها الأوحد السيطرة العسكرية لما يترتب عليها من تحكم في الموارد البشرية والاقتصادية من فرض المغارم والإتاوات على من يقع تحت إمرتهم من قبائل الزوايا ذوات الثروة، وحماة بيضة الإسلام وقوتها الحية.

أولاً ــ الإطار النظري المرجعي للنحو الشنقيطي

يجمع الدارسون على أنه ابتداء من القرن ١٠هـ/١٦م بعد أن تمت السيطرة الحسانية شهدت البلاد نهضة علمية واسعة النطاق شملت كافة المعارف الإسلامية، ويرجع الدراسون هذه النهضة إلى عدة عوامل أهمها:

- تفوق بني حسان العسكري خصوصا بعد أن وضعت حرب شربيه أوزارها نجم عنه تفرغ الزوايا وبشكل منقطع النظير لعب المعارف الإسلامية، تعويضا لما فاتهم من التفوق العسكري ولسد الفراغ النفسي لمضاعفات الحرب.

---

٦ - تقول بعض المصادر إن هذا الرباط كان بجزيرة تيدرة شمالي العاصمة انواكشوط، نفس المصدر ص ٤٣

٧ - نفس المرجع نفس الصفحة

٨ - يستثنى من ذلك كتاب الإشارة في تدبير الإمارة في أخلاق الملوك للإمام الخضرمي (ت ٤٨٩هـ/١٠٩٤م) راجع بن الحسن ص ٤٦

wadod.org

- رأى المتهنون بالعلم تعلما وتعليما أن بني حسان وإن تفوقوا عسكريا وتشبثوا بالعروبة نسبا ولغة فإن عروبتهم لاتتجاوز حناجرهم وأعراقهم، وأنه لاأحد أقعد في العروبة من أبوي لهب وجهل، لكنها كانت وبالا وخزيا وعارا عليهم، إذ منعتهم من الإسلام تكبرا وحقدا، فالعروبة باللسان والبيان ونصرة الدين وهم حماته وحملة لوائه.

- سيطرة بني حسان - الذين يتكلمون بالحسانية - لاشك ولد في الناس اتجاها جديدا واهتماما باللغة العربية الفصيحة التي كانت قنطرتهم لها اللهجة العامية المنطوقة من طرف كافة فئات المجتمع: النخبة العالمة والمتعلمة ومن دون ذلك، مما حمل الدكتور ولد اباه على القول إن الفترة الحسانية كانت فترة تحول من ثقافة دينية خالصة إلى فترة اتجه فيها المتعلمون من أبناء الزوايا إلى دراسة علوم اللغة العربية وآدابها[٩].

وإذا كانت البلاد قد شهدت نهضة علمية في علوم اللغة عامة والنحو خاصة ابتداء من القرن ١٠هـ فما دوافع هذه النهضة وما روافدها أشرقية كانت أم غربية وعلى أيدي من قامت؟

أ - الدوافع:

تقوم هذه النهضة على عوامل تحدثنا عن بعضها قبل قليل ونضيف لها عوامل نرى أنها لاتقل أهمية عن الأولى وهي:

- أن أنشطة الزوايا في تلك المرحلة كانت تقوم كلها على أساس من التدين متين وزهد وورع يشفع لها قرب عهدها بحركة المرابطين الجهادية، فلم يكن انشغالهم بعلوم اللغة وفروعها من نحو وبلاغة وصرف وبيان إلا لما يرون فيه من خدمة للغة بها نزل القرآن ونطق الرسول صلى الله عليه وسلم ،فبها وحدها تدرس علوم الشرع وتفهم مقاصده.

- أن هنالك بعض الآثار التي تحث على حب لغة العرب وفضلها[١٠]، بوصفها قنطرة لفهم علوم الشريعة، ولكون تعلمها مرغباً فيه شرعاً، بل ذهب بعضهم إلى أنه أفضل من الاشتغال بالنوافل[١١].

---

٩ - Moamed Moctar O Bah:Introduction à la Poesie Mauritanieene P٨

١٠ - أحب العرب لثلاث، لابن عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي (حديث صحيح) رواه العقيلي في الضعفاء، والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، عن ابن عباس راجع الجامع الصغير في أحاديث البشير للإمام السيوطي، ١/٤٠ط:١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١١ - محمدن فال بن متالي بن المختار بن محمد بن أبيجه الإيدكفودي التندغي (١٢٠٥هـ١٧٩١م-١٢٨٧هـ١٨٧٢م)، من أجل علماء البلد في زمنه، وأحد أبرز مشائخ الطريقة الشاذلية في البلد، أخذ عن ابن عفان التندغي وأحمد بن العاقل، غير أنه يقال إنه حصل جل علومه عن طريق المطالعة، انتفع به خلق كثير من بينهم: حيمدة بن اتبنان والمختار بن آلما، ترك مؤلفات تناهز ٢٠ مؤلفا، من أهمها: تفسير للقرآن الكريم أسماه "إصلاح الآخرة والأولى" وفتح الحق وفتاوى كثيرة، ترجم له الوسيط: ٣٤٣-٣٤٥ والمنارة ص٥٣٠.

قال ابن متالي مفضلا تعلم العلم على النوافل:

تعلم اللغة شرعا فضل ... على التحلي لعادة العلي

يوجد ذا من قوله وعلما ... آدم الاسماء الزم التعلما

wadod.org

- أن الزوايا يرون أنفسهم سدنة اللغة، يتجلى ذلك في كتابتها شعرا ونثرا نظما وعلى كافة المستويات، بالإضافة إلى أن ثلة من القبائل ترفع أنسابها إلى بعض بطون العرب[١٢].غير أن أغلب قبائل الزوايا تتحفظ من هذه الانتسابات لما يحتفها من قرائن - في نظرهم- يجعل الشك في صحتها أمرا مطروحا إن لم نقل مقطوعا بصحته[١٣].

- أنهم حملوا على عاتقهم الانشغال بعلوم اللغة عموما والنحو خصوصا، فتفرغوا لها متسلحين بهمم عالية، وطفقوا يبحثون عن متون في علم النحو يستندون إليها في دراستهم، إذ لم تكن أنذاك بالبلد متون تدرس، فلابد من استقدام مقررات دراسية، واستيراد كتب في هذه الفنون الجديدة، والتغالي في شرائها أو مقايضتها[١٤].

وأول ما تسعفنا به المصادر في هذا المجال رسالة محمد بن علي اللمتوني[١٥] التي وجه للسيوطي في شهر شوال سنة ٨٩٨هـ يستفتيه فيها عن كثير من الأمور الشرعية المطروحة أنذاك، وقد ختم هذه الرسالة بقوله:"وبلغني أنك ألفت شيئا في حروف التهجي فلا يليق بكرمك أن تكتمه عنا "[١٦].

- ففي هذه الرسالة نلمس مدى اهتمام أهل هذا القطر بأمور الدين واستفتائهم عن كل صغيرة وكبيرة في هذا الصدد، ولا أثر في الرسالة لأي علوم أخرى سوى هذا السؤال الذي ختم به عن الحروف، وكأنه لا يريد غير الاطلاع على هذا الكتاب، وهو أمر يدل على أن علوم اللغة لما تحتل بعد مكانتها المناسبة، إذ ماتزال في طور النشء، ومن اختصاص ثلة قليلة، كما يفهم من سياق الرسالة أن السائل يخشى أن يكتم عنه الكتاب لكونه ربما لا يستسيغه، والعلم لا يؤتى إلا لذويه، لذلك عبر بقوله "فلا يليق بكرمكم أن تكتمه عنا"، وسواء وصل كتاب السيوطي أرض شنقيط أم لا فإن بعض المصادر تتحدث عن ترتيب في المقررات .

- يرى العلامة المختار بن حامد[١٧] أن هذه المتون قد دخلت على الترتيب التالي: "أقدم متن عرفته

---

١٢ - الحسنيين والحسينيين والجعفريين والبكريين والعلويين والأنصار، كبعض بطون إدابلحسن وتواجيو وإديقب ولقلال وإدوعل وإديسات.

١٣ - عـدم اهتمام الموريتانيين الأوائل بالتاريخ عموما، بالإضافة إلى كونهم بدو رحل لا يستقرون بدار ولا يهتمون بوثائق ولا سجلات تاريخ ولا غيرها.

١٤ - سنتحدث عن هذه المسألة في كلامنا على الإجازات قريبا إن شاء الله.

١٥ - لم نقف له على ترجمة.

١٦ - راجع نص الرسالة في الخليل النحوي: المنارة والرباط ص ١١٣ والحاوي للفتاوي ١/٢٨٤-٢٩١

١٧ - الديمـاني (١٣١٥هـ/١٨٩٨م-.....) علامة وأديب ومؤرخ موريتاني مشهور، أول من عمل موسوعة شاملة في التاريخ الموريتاني بمناحيه السياسية والثقافية والاجتماعية (مرقونة بدار الثقافة، (١١ مجلدا)، مطبوع منها مجلد واحد هو الجزء الثقالي)، انتقل في آخر عمره للمدينة المنورة وسكن بها حتى مات، له ديوان شعري كبير في مختلف الأغراض.

wadod.org

البلاد في النحو ملحة الحريري[١٨]، ثم ألفية ابن مالك[١٩] وتسهيله ولاميته ثم فريدة السيوطي[٢٠] ومختصر ابن آجروم الصنهاجي[٢١] ت ٧٢٣ هـ"[٢٢].

ويحيل هذا الترتيب إلى العامل الزمني للمؤلفين الأربعة، غير أن ابن آجروم سابق للسيوطي تاريخيا، ولعله السبب في عطف المختار بن حامد ابن آجروم على السيوطي بالواو التي لاتفيد الترتيب عكس سابقيه الذين عطف عليهم بثم المفيدة له[٢٣].

كما يرى الدكتور أحمدو ولد الحسن أن المتون التعليمية الأساسية في النحو والبلاغة كانت منتشرة ومتداولة في البلاد في مدارس المدن:ولاتة، تيشيت، ووادان في القرن ١٠هـ/١٦م[٢٤].

ب - روافد النهضة:

١ - الرحلات العلمية:

لاشك أن للشناقطة صلة علمية كبيرة مع غيرهم في الأقطار العربية والإسلامية، تتجلى في المراسلات التي تحفظها لنا السجلات والكنانيش، ولهذه المراسلات دور كبير في التواصل الثقافي والتلاقح المعرفي، كما كان للرحلات العلمية دور أشهر وأذكر في هذا المجال.

من هذه الرحلات ماهو داخلي بين المدن القديمة؛ تربط بينها قوافل في رحلات موسمية تشمل: أودغست وتيشيت وولاتة ووادان وشنقيط.، فيلتقي في هذه المدن جمع من العلماء والطلبة فيتذاكرون في المسائل العلمية المختلفة، ويتهادون الكتب ويتبادلون المعلومات والإجازات إلى جانب المنافع التجارية[٢٥].

---

١٨ - القاسم بن علي المشهور بالحريري (ت٥١٦هـ)، أديب بصري اشتهر بمقاماته، وألف في النحو: ملحة الإعراب، ودرة الغواص في أوهام الخواص.

١٩ - جمال الدين أبو عبد الله محمد بن مالك الطائي الجياني الأندلسي، علامة عصره في علوم اللغة العربية، إمام في النحو والحديث والقرأآت، له مؤلفات كثيرة أشهرها: ألفيته وكافيته وتسهيله والمقصور والممدود ولامية الأفعال وغيرها، ترجم له ابن اباه: النحو العربي ص: ٣١٣-٣٢٠، وابن البرا: الألفية وتأثيرها في الثقافة الموريتانية ص: ٢٤-٣١ وغيرهما...

٢٠ - الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، مجدد القرن العاشر الهجري، ترجم له ابن اباه: النحو: ص ٣٥٧-٣٧٥ ترجمة وافية لخصها في ثلاثة أرقام: ٧علوم و ١٥٠ شيخا و٧٢٥ مصنفا.

٢١ - أبو عبد الله محمد بن داوود الصنهاجي الفاسي النحوي المقرئ، أشهر مؤلفاته: مقدمته في النحو التي حظيت بقبول في المحاضر الشنقيطية، حيث تناولها العلماء بنظمولها وبشرحولها شروحا موسعة، ترجم له ابن اباه: النحو ص ٣٧٩-٣٨١.

٢٢ - راجع الجزء الثقافي من حياة موريتانيا ص ٦٣، وابن البرا: الألفية وتأثيرها في الثقافة الموريتانية ص ٣٩ والمنارة والرباط ص ٢٠٦

٢٣ - نبه على هذه المسألة الباحث الخليل النحوي: المنارة ص ٢٠٦

٢٤ - د. أحمد ولد الحسن: الشعر الشنقيطي ص ٨٠

٢٥ - ابن لبرا ص: ٨

wadod.org

أما الرحلات الخارجية فتتمثل في ركب الحجاج الذي ينتظم كل سنة من مدينة شنقيط فيلحق به كل من أراد الحج من كافة أهل القطر، فيسلكون إحدى الطريقين الساحلية عبر المغرب فتونس فمصر فالبحر الأحمر فالسعودية، أو الطريق الجنوبية عبر مالي فالنيجر فالسودان فالبحر الأحمر[٢٦].

وأية كان طريقهم فإنهم يلقون جما غفيرا من العلماء سواء في محطاتهم أثناء طريقهم، أو مدة إقامتهم بالأماكن المقدسة التي ربما طالت سنوات عديدة، فيأخذون عنه إجازات في القرآن[٢٧] والحديث[٢٨] وأسانيد العلم[٢٩] وتقاديم التصوف[٣٠].

كما كانوا يتدارسون الكتب ويتحاورون في مسائل علمية كانت مطروحة من قبل، أو أملتها مقتضيات العصر، فيسمع كل منهم رأي الآخر، كما يطلعون على نوادر الكتب المخطوطة والمطبوعة؛ فيرجع من رجع منهم إلى دياره وقد أخذ بحظ وافر من العلوم النقلية والعقلية ممن كانت له بها دراية قبل سفره أو عكف على دراستها وتحصيلها على شيوخ وعلماء التقى بهم بالحرمين، كما أن هؤلاء الحجاج يرجعون وركائبهم موقرة بنفائس الكتب[٣١].

ومهما يكن من أمر فإن هذه الرحلات كانت مرتعا خصبا ينتجع فيه الموريتانيون أطايب الفنون والعلوم في مواسم يلتقي فيها العلماء من كل حدب وصوب فيتذاكرون ويتسامرون وتكون فرصة لبعضهم في أخذ العلوم عن بعض، وينتهزون فراغهم وغربتهم للدراسة، وربما قرأوا الكتاب من أوله إلى آخره دراسة متأنية مع الوقوف مع كل جزئية صغيرة وتحريرها ومراجعتها،وربما أخذوا بعض الكتب

---

٢٦ - مقال في أدب الرحلات للأستاذ محمذن بن المجبوي (مرقون من ص١ إلى ص٧).

٢٧ - مـن ذلك إجازة سيدي أحمد لحبيب اللمطي السلحماسي لسيدي عبد الله بن أبي بكر التواجيوي (ت١١٤٥هـ/١٧٣٢م) في القراءات العشر، وهو أول من أتى بالجيم الشديدة، وإليه يرجع حل أسانيد المقرإ بهذا البلد، البرتلي ص ٢٠٨ والمنارة ص ١١٢.

٢٨ - كإجـازة أبي إسحاق ابراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الشافعي المدني هجرة محمد بن المختار بن الأعمش (ت ١١٠٧هـ) في موطإ الإمام مالك وصحيح البخاري ومؤلفات سيدي محمد بن يوسف السوسي . البرتلي ص: ١١٦ - ١٩٣ - ١٩٤.

٢٩ - كمـا أخـذ مسكة اليعقوبي عن ناصر الدين الدرعي اللقاني المغربي إجازة في معقولاته ومنقولاته، وإجحازة محمد بن محمد بن أبي بكر التواتي (١٠١٠هـ/١٦٠١م) لأحمد بن القاضي وإجازة سيدي أحمد لحبيب بن عزيز الفلالي لألفية الخطاط(ت ١١٩٦هـ). ابن البراء ص ١٢

٣٠ - قدّم الشيخ سيدي أحمد التيجاني(ت١٢٣٠هـ/١٨١٤م) الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب (ت١٢٤٧هـ/١٨٣١م) في الطريقة التجانيـة ، نـص تقديمه مخطوط بكناش أهل بدي بالباغية، كما أجازه صالح الفلالي في الصحيحين والسنن الأربعة وموطإ مالك وشفاء القاضي عياض . راجع محمدي بن خيري:تحقيق ديوان باب بن أحمد بيبه ص ١٤، المدرسة العليا للتعليم ١٩٨٤ ، والمنارة ص ١١٢.

٣١ - رحـل القاضي عبد الله العلوي من حجه في القرن ١١هـ/١٧م وهو يحمل معه ٦٠٠ كتاب ، كما رجع سيدي عبد الله بن محمد بن القاضـي العلـوي (ابن رازكه من المغرب ومعه ٤٠٠ كتاب ، ذكر ذلك محمدي بن خيري في تحقيق ديوان باب ص ١٤، كما يذكر أن سيدي عبد الله ابن الحاج ابراهيم في عودته من الحج مكث بالمغرب سنوات فأكرمه السلطان سيدي محمد بن عبد الله وأهداه ٤٠٠ كتاب، راجع المنارة ص ١١١، كما ذكر محنض بابا بن المختار : مدخل إلى تاريخ الطرق الصوفية في موريتانيا ص ٥٣ إن الشيخ سيديا الكبير زار مراكش فأكرم مثواه السلطان عبد الرحمن فرجع إلى شنقيط ومعه ٢٠٠ كتاب في فنون مختلفة

wadod.org

آخره دراسة متأنية مع الوقوف مع كل جزئية صغيرة وتحريرها ومراجعتها،وربما أخذوا بعض الكتب دراسة وباقيها سماعا،وربما قرأوا أوله وآخره دون وسطه، حسبما سمحت به ظروف المقام مع الأشياخ الذين ربما كانت لهم مشاغل جمة إن كانوا مقيمين،أو متعجلين للعودة لأوطانهم إن كانوا حجاجا.

وعلى كل حال فقد كان لهذه الرحلات دورها في تكوين جزء كبير من علمائنا ابتداء من القرن ١١ هـ/١٧م على ماترويه بعض المصادر[٣٢].

و لم تقتصر الرحلات على الحج فحسب وإنما طوح الرحالون في البلاد شرقا ومغربا فبلغت بهم الرحلة الهند وتركيا وسوريا وبعض مدن آسيا[٣٣].

وربما مارسوا التدريس لمختلف الفنون الشرعية من أصول وتفسير وبيان ولغة وفقه في بعض الحواضر الإسلامية أنذاك (تمبكتو، انيامي، فولامين، الخرطوم وأم درمان) أو تصدروا للإفتاء ونشر أصول الدين وفروعه[٣٤] وخلاصة القول إن هذه الرحلات كانت بالنسبة لهم مدارس يتخرجون منها وقد نهلوا من معين المعارف الاسلامية بشتى فروعها فيرجعون إلى أوطانهم وقد امتلأت صدورهم علوما ووقرت مطاياهم بذخائر الكتب وحطت أوزارهم، أو أدركهم الموت فوقع أجرهم على الله وفي كل ذلك خير كثير.

٢ - الإجازات:

فللإجازات أهمية كبرى تتمثل في رسم الطريق التي مرت بها العلوم والأشخاص الذين تناقلوا هذه العلوم خلفا عن سلف، فبتقصي هذه الطرق يتضح مسار هذه الثقافة وتتحدد معالمها، وبدون هذا السند تكون العلوم دعية لأنساب لها فلايدرى صحيحها من سقيمها ولا سمينها من غثها.

لذا حرص علماء هذه الأمة على صحة الرواية والسند أكثر من حرصهم على صحة المتن لأنه إذا صح السند صح المتن ولا عكس.

ونحن حين نلقي نظرة عجلى على سندنا النحوي يبدوا لنا بعض الضباب والغيوم في سماء هذا السند، بل وأحيانا بعض السحب الملبدة التي تحول دون متابعة هذا السند،فأول حديث عن النحو يرتبط في رأي المؤرخين بتلميذي القاضي عياض الشريف عبد المؤمن مؤسس محظرة تيشيت والحاج عثمان مؤسس محظرة وادان (القرن ٦هـ) الذين جلبا علوم اللغة ضمن ما جلبا من علوم[٣٥].

ولاتزيد المصادر المتوفرة الآن على ذكر هذه الجملة دون التصريح بسند ولا مقرر ولاأي شيء آخر ثم نلقى فراغا تاريخيا وصمتا وثائقيا طيلة أربعة قرون لا نسمع ذكرا لأي إشارة في علوم اللغة .

---

٣٢ - محمدي بن حيوي : تحقيق ديوان باب بن احمد بيبه ص ١٣

٣٣ - راجع الوسيط ص ٦٩-٧٢ وص ٣٨١-٣٩٧ والمنارة ص ١١٠ - ١١٣

٣٤ - كما فعل محمد الامين الجكني ومحمد يحيى بن ابوه اليعقوب (ت ١٣٤٩هـ) في رحلتهما للحج. مقال لزميلنا ابن المحبوبي : علماء البلد ورحلات الحج ودور القوم في نشر العلم، مرقون .،فيمكن للتوسع في هذا لموضوع الرجوع لهذا المقال

٣٥ - حياة موريتانيا . الجزء الثقافي . ص ٦ - المنارة ص ٢٠٣ وابن البراء ص ٨

wadod.org

ثم تبدو إشارات تطفوا على سطح الخضم من بعيد ملوحة بأسماء نحاة عاشوا في القرنين التاسع والعاشر ذكر منهم محمد بن أبي بكر الصديق : الفقيه المختار النحوي بن اندغمحمد(ت ٩٢٢هـ) وعبد الله الملقب أندعبد الله بن سيدي احمد المحجوبي شارح الآجرومية (ت ١٠٣٧هـ/١٦٢٥م)[٣٦] كما ترجم نفس المصدر للحاج أحمد ابن عمر الصنهاجي الذي حج سنة ٨٩٠هـ ولقي الشيخ خالد الأزهري إمام النحو[٣٧].

فنلقى سيدي محمد بن موسى بن إبجل(ت ١١١٧هـ)[٣٨] مؤلف كتاب " كشف النقاب في قواعد الاعراب" وشرحه .

كما تذكر بعض المصادر أن الطالب محمد بن الأعمش العلوي (ت ١١٠٧هـ) تخرج على يديه محمد بن ابي بكر بن هاشم القلاوي (ت ١٠٩٨هـ) من علماء النحو الذين طار صيتهم، وعنه أخذا عمر بن باب بن علي بن اندعبد الله الولاتي(ت ١١٤٥هـ) وعن ذا أخذ إمام النحاة الولاتي العالم الكبير عمر ممو (ت ١٢٠١هـ)[٣٩] إلا أن كل هذه الإشارات التي نصادف في المراجع لمحاولة ربط بعض الروايات بعض تبقى مبتورة، إذ نفقد في بعض مراحلها بعض أعلامها ،كما أنها لا تتصل بأحد أعلام مدرسة ابن مالك المغاربة أو المصريين.

وأول محاولة جادة لوصل حلقات السند الشنقيطي بمدرسة ابن مالك هي المسطورة في إجازة يحظيه بن عبد الودود[٤٠] المتصلة بالاشموني، ونص الإجازة أنه أخذ احمرار ابن بونه عن " الحسن بن زين [٤١] عن عبد الودود بن عبد الله [٤٢] وهذا عن بلا[٤٣] ابن الفاضل وذلك عن المختار بن بونه الجكني[٤٤] الذي أخذ عن

---

٣٦ - فتح الشكور ص ١٥٩

٣٧ - نفس المصدر ص ٢٧

٣٨ - الزيدي نسبا التيشيني وطنا، نحوي لغوي أصولي بياني فتح الشكور ص ١٠٩-١١٠

٣٩ - راجع د.محمد المختار بن اباه : تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ص ٤٥٠

٤٠ - بن أوبك الجكني نسبا الكنابي دارا (١٢٦٥ هـ/١٨٤٩م - ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) أخذ عن الحسن بن زين الكنابي وعنه أخذ علم النحو مسلسلا إلى الأشموني، كانت له محضرة كبيرة تخرج منها عدد من العلماء بعد بالعشرات ،لقب سيبويه النحو في موريتانيا، لم يؤلف لانشغاله بالتدريس لكن تخرج على يديه جمع وافر من العلماء ،ترجم له ابن البراء ص ١١٤-١٢٠ وابن اباه النحو ص ٥٢٢-٥٢٥ والمنارة ص ٥٣٣-٥٣٤

٤١ - الكنابي (١٢٢٥هـ/١٨١٠م - ١٣١٥هـ/١٨٩٨م) عالم لغوي ونحوي شهير وصاحب محضرة دام عطاؤها ٤٠ سنة أخذ عن عبد الودود بن عبد الله ، وعنه خذ خلق كبير.له: احمرار على لامية ابن مالك . حققه الاستاذ أحمد سالم بن محمدو سنة ١٩٨٢ بالمدرسة العليا، ترجم له الوسيط ص ٣٧٧ - ٣٨٠ ، وابن البراء ص ١١١ والمنارة ص ٥١١ .

٤٢ - ابن أنجبنان الألفغي نسبة لأولاد اتفغ حبيب الله (١٢١٥هـ/١٨٢٩ - ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م) عالم باللغة والنحو، أخذ عن بلا الشنقيطي، وعنه أخذ الحسن بن زين، شيخ محضرة ومدرس، ألف: روض الحرون من طرة ابن بون أول مؤلف نحوي بعد الجامع حققه الباحثان: محمد الامجد بن لبات ومحمد الامين بن محمد محمود ١٩٨٣ ،ترجم له الوسيط ٣٤٧ - ٣٧٦ وابن البراء ص ١٠٨ والنحو العربي ص ٤٧٣-٤٧٩ والمنارة ص ٥٢١

٤٣ - ترجمنا له في معرض حديثنا عن تلاميذ ابن بونه

٤٤ - ترجمنا له في مستهل حديثنا عن الجامع

wadod.org

علوي عن سوداني عن آخر سوداني[٤٥] عن الاشموني[٤٦] المتوفى سنة ٩٠٠ هـ بمصر"[٤٧].

وبالرغم من أن في هذه الإجازة ثلاثة رجال مجهولين إلا أنها تبقى لحد الساعة المثلى من حيث اتصال السند، وإن لم يبدوا في أفق البحث العلمي مؤشر تغيير للمعطيات الحالية.

وهنالك محاولات أخرى تروم وصل حلقات هذا السند النحوي فتذكر أن محم (محمد) سعيد بن تكدي (ق ١٠هـ) اليدالي الذي درس في تافلالت (سجلماسة) بالمغرب كان أول من جلب النحو[٤٨] لمنطقة القبلة[٤٩] ، وتذكر بعض المصادر أنه جد المختار ابن بونه لأم وأن سر براعته في النحو كونه حفيدا لليدالي النحوي[٥٠].

وربما يكون ابن بونه قد أخذ عن ابن تكدي بواسطة مع أن المصادر التي تتحدث عن هذه العلاقة تذكرها بصيغ التوهين[٥١]، وعلى افتراض صحتها ففي السند انقطاع إذ لا يصرحون بشيوخ ابن تكدي في التافلالت، ففي هذه الرواية ضعف في بداية السند وانقطاع في نهايته.

وثمة طريق أخرى تتحدث عن علاقة ابن بونه بالمختار بن الامين[٥٢]،ذكرها العلامة محمد محمود بن التلاميذ[٥٣] التركزي في ميميته المشهورة يقول[٥٤] :

---

٤٥ - هذا العلوي والسودانيان لا يعرف شيء عنهما ولا عن أسمائهما

٤٦ - الأشمـــوني (نور الدين ت ٩٠٠هـــ/١٤٩٥م) المصري الشافعي، فقيه متكلم نحوي ناظم، من تصانيفه: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، ص١١٤، والدكتور محمد المختار بن أباه ك: النحو العربي ص٤٥١.

٤٧ - ابن البراء الفية ابن مالك ص ١١٤ والدكتور محمد المختار بن اباه ك: النحو العربي ص٤٥١.

٤٨ - قال أحمد سالم بن أبي بكر في نظمه لقبيلة اليداليين :

وانقرضـــوا ومنهم السعيد نجل تكدي العالم الفريـــد

أول من لقبلة النحو جلب وما له سوى ثلاث تنتسب

راجع مقال لابن المحبوبي: النحو الشنقيطي : النشأة والتأصيل ، الموكب الثقافي ١٩٩٨ ص ٣

٤٩ - المختار بن حامد : حياة موريتانيا الجزء الثقافي والمنارة ص ٢٠٦

٥٠ - الشريف بن احمد محمود : تسجيل التكرور بشرح الاحرار - دراسة وتحقيق، طروحتنا لنيل دكتورا الدولة في الآداب ص ٢٨ ج١.

٥١ - ابن اباه : النحو العربي ص ٤٥١

٥٢ - الملقب انجبنان بن محمد بن أحمد بمحمه الحيبلاوي نسبة لأولد احفغ حيبلله، عالم ماهر بالنحو وعلوم للغة يبدو ذلك من كتابه شفي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل الذي يعد أول كتاب ظهر فيه أن صاحبه استظهر مهات كتب مدرسة ابن مالك، وخصها في مجلد واحد قال فيه ابن اباه:" وكانت تلخيصاته ونقوله محكمة متكاملة وشاملة" تاريخ النحو ص ٤٥٠ وحياة موريتانيا الجزء الثقافي ص ٣١٩

٥٣ - علامة ورحالة كبير انفرد بالمشرق في اللغة والانساب، أخذ عن أحمدو بن اكتوشي العلوي سافر في رحلته المشهورة للحج عبر المغرب فمصر فالحجاز ، وقعت خصومات وعداوات بينه وبين مجموعة من العلماء كان كثير المناظرات حاد العبارت شديد اللهجة في الخصومة ، يكـــثر مـــن تخطئة العلماء في مسائل لغوية وفقهية وصرفية، أشرف على تحقيق وطباعة عدة كتب في مصر مثل مخصص ابن سيده وأراجيز العرب وغيرها. ترجم له الوسيط ص ٣٨١ - ٣٩٧.

٥٤ - ديوان ابن بونه الشعري ، تحقيق اشريف بن محمد محمود ، ص ١٥

wadod.org

ولم يشعر المختار منشي احمراره لسقي عباد الله من نحوه الظمي
ولا شيخه انجبنان من كان عنده له فتح الرحمن في النحو والعلم

ففي قوله " شيخه" تصريح بهذه العلاقة، ويعزز هذه الرواية تصريح ابن التلاميذ بها من جهة وتصريح ابن اباه "أن مدرسة ابن مالك توطدت في عهده واستكملت أسسها ومناهجها"[٥٥] يعني انجبنان لكونه أكثر النقول والعزو من وإلى أمهات كتب مدرسة ابن مالك في كتباه شافي الغليل، لكن يبقى السؤال مطروحا: من هم شيوخ انجبنان؟ فما لم نجد جوابا شافيا لهذا الاشكال يصل سند انجبنان بشيوخ مغاربة أو سودانيين أو مصريين تبقى حلقة من أعلى السند مفقودة وإننا إذ نستصرخ هم الباحثين لنأمل أن يظفروا برجالها فيتحفوننا بهم.

ج – المراجع و المتون :

ونعني بها مجموعة الكتب التي شكلت النواة الأولى والمنطلق الأساس الذي اعتمده الشناقطة في دروسهم الأولى، فحين نلقي نظرة على هذه المقررات نلاحظ أنها دخلت إحدى البوابات الحدودية التي ظلت منذ قرون محطات للقوافل التجارية وحلقة وصل تربط بين حواجز الغرب الاسلامي وأفريقيا السوداء ، وهذه المدن هي: شنقيط وتنيكي ووادان شمالا وولاتة شرقا وإذا وقفنا عند كتب النحو التي عرفها الشناقطة منذ العهد الأول وهي مؤلفات محمد بن مالك الاندلسي (الألفية والكافية والتسهيل واللامية) ومختصر ابن آجروم الصنهاجي المغربي ومنظومة محمد بن آب القلاوي التواتي المعروف بعبيد ربه ومؤلفات السيوطي المصري كالألفية والفريدة في النحو، ومؤلفات ابن هشام المصري (مغني اللبيب وقطر الندى وشواهد المغني) وشرح ابن الدماميني المصري لتسهيل ابن مالك نستخلص أن لهذه الثقافة رافدين أساسيين[٥٦]:

– رافد مغربي أندلسي يتمثل في كتب ابن مالك وابن آجروم والتواتي.

– رافد مصري يتمثل في مؤلفات السيوطي وابن هشام والدماميني والأشموني.

وليس من شك في أن هذه المراجع قد وصلت من البوابة الشمالية(شنقيط تنيكي وادان) عبر التافلالت وأيلّيغ والدلاّء[٥٧] في الجنوب المغربي .

وهنالك رافد سوداني شرقي آت من تمبكتو[٥٨] عبر ولاتة ، ويتمثل في الصلات العلمية التي ظلت تربط شرق البلاد بالمدن الحدودية المالية وخصوصاً تمبكتو وأروان اللتين كانتا حاضرتين علميتين تشع منهما

---

٥٥ – النحو العربي ص ٤٥٠

٥٦ – راجع المنارة ص ١٨٥– ١٩٠

٥٧ – مدن مغربية قديمة عملت على ترسيخ الثقافة وبثها في جنوب المغرب وموريتانيا . ابن البراء ص ٨

٥٨ – الشعر الشنقيطي ص ٧٧

wadod.org

مشاعل الحضارة الاسلامية وتغصان بالعلماء وكان لهما دور رائد في نشر الاسلام بهذه الربوع وهما صلات مباشرة بباقي الحواضر الاسلامية في مصر والمغربين أحرى شنقيط التي تربطهما بها أكثر من علاقة في الرحم والدين والجوار فقد درس في هاتين المدينتين كثير من العلماء الشناقطة وأجيزوا وأجازوا في مختلف العلوم الشرعية واللغوية [٥٩]

ثانياً ــ النحو في موريتانيا ومرحلة التأسيس:

منذ أن دخلت طلائع الفتح الاسلامي التي تحدثنا عنها سابقا لم يكن حديث عن علوم اللغة وإنما كانت هناك علوم الشرع ، يتعلم الناس منها ما يقيمون به شعائرهم مقتصرين على فرض العين بل لا نعرف شيئا عن ماكان عليه الناس في ذلك العهد من أمردينهم غير أنهم كانوا متمسكين أشد التمسك بعرى الإسلام

ظل الوضع على هذه الحالة طيلة القرن الثاني والثالث والرابع إلى أن جاء عبد الله بن ياسين فأسس رباطا قويا وبدأ يعلم الناس وعمل على إيجاد حركة علمية تتشبث بالورع والزهد والدعوة إلى الله وأنشأ أول حلقة للتدريس في شنقيط يفقههم في الدين ويؤهلهم لنشره في أصقاع البلاد، ولايستبعد أن يكون علّمهم مبادئ من علوم اللغة والنحو تساعدهم على فهم أسرار القرآن والحديث وأحكام التجويد والقراءات [٦٠].

وفي هذا الاطار تندرج جهود الامام الحضرمي[٦١] الذي كان قاضيا ومؤلفا،فيفترض أن يكون ألف كتابا أو درس جيلا وإن كانت المصادر لاتذكر شيئا من هذا القبيل .

ويتحدث صاحب فتح الشكور عن رحلة أحد علماء الأندلس ونحاتها إلى شنقيط خلال القرن ٧هـ/ ١٣م ومكثه بين أظهرهم فترة يعلمهم القرآن، فربما - والعلم عند الله - يكون إلى جانب ذلك عرفهم ببعض مبادئ علوم اللغة وجزئيات النحو على الأقل لتجنب اللحن في القرآن وهو أمر غير مستبعد، يقول في فتح الشكور"قال ابن حجر كان ابو الحسن (ت ٧٢٤هـ) هذا عالما بالنحو وأصله من الأندلس رحل منها إلى التكرور وأقرأ أهلها القرآن" [٦٢].

وإذاكانت هذه الاشارات وغيرها تسمح لنا بالقول أن الشناقطة قد عرفوا النحو ولو بشكل مبسط على هامش العلوم الشرعية فإنه يمكننا القول إن هذا الوضع ولّد وعياً لغوياً في القرون الخمسة السابقة للقرن العاشر ظل الوعي خلالها يتنامى ويتزايد خصوصا بعد أن استحكمت حركة المرابطين بعد الهجرات

---

٥٩ - راجع فتح الشكور ص ٢٩ - ٣٨ - ٦٩ - ٧١ - ١٠٩ - ١١٢- ١٥٩ - ١٧٨ - ٢١٦

٦٠ - الاستاذ محمدن ابن المحبوبي : النحو الشنقيطي النشأة والتأصيل ، مجلة الموكب الثقافي ١٩٩٨ ص ٢

٦١ - ابوبكر محمد بن الحسن الحضرمي (ت٤٨٩هـ) دفين آزوكي (مدينة موريتانية قديمة) قدم البلاد الشنقيطية من القيروان ، له مؤلفات منها : الإشارة إلى أدب الإمارة. ابن الحسن الشعر الشنقيطي ص ٤٦

٦٢ - فتح الشكور ص ١٩٦

wadod.org

الحسانية المتتالية ابتداء من القرن ٨هـ/١٤م وحتى القرن ١٠هـ/١٦م حيث دخلت عناصر تتكلم اللهجة العامية وتفرض سيطرتها على البلاد مما جعل التعرب أمرا لا مناص منه [٦٣].

وفي القرن العاشر وبعد أن تمت سيطرة بني حسان على مختلف المناطق الشنقيطية نرى الوضع قد تغير عما كان عليه قبل، حتى ليمكن القول إن الثقافة انتقلت من ثقفة دينية خالصة إلى أخرى مزدوجة، إذ بدأت قبائل الزوايا تحمل أبناءها على تعلم اللغة العربية وآداباها، وقد ساعدهم على هذا التوجه أنهم أخذوا في الوقت ذاته يتكلمون الحسانية [٦٤]، فبدأ النحو يدخل المقررات المدرسية وظهرت المدارس البدوية وأعيدت ترتيب أولويات هذه الثقافة لتلائم أحوال المجتمع ومقتضيات العصر الحساني ذي السمات الجديدة [٦٥].

لذا نقف في هذه الفترة على عدد كبير من تراجم النحاة في فتح الشكور يوصفون بأنهم لغويون ونحاة وأدباء وشعراء ...، من هؤلاء :المختار النحوي بن اندغمحمد الذي قال عنه صاحب فتح الشكور"المختار النحوي العالم بكل فن من فنون العلم" [٦٦]، وكذلك عبد الله الملقب اندعبد الله بن سيد احمد الولاتي (ت ١٠٣٧هـ) الذي قال عنه كذلك"كان فقيها نحويا، شرح الآجرومية شرحا حسنا مختصرا"[٦٧] ، وكذلك نصادف الحاج أحمد الصنهاجي التمبكتي (٨٦٣هـ-٩٤٣هـ) الذي حج ٨٩٠ هـ ولقي بعض أئمة النحو المصريين كالسيوطي وخالد الأزهري، ولاجرم أخذ عنهما من علومهما، وقدوصفه البرتلي بقوله:" كان فقيها نحويا لغويا عروضيا" [٦٨]،فهذه الأوصاف تدل على أنه كان مختصا في علوم اللغة.

وفي هذه الفترة كذلك برز العلامة محم (محمد) سعيد بن تكدي اليدالي الذي عاش في القرن ١٠هـ/ ١٦م وارتحل للمغرب طلبا للعلم ومكث هنالك فترة يدرس على شيوخ لانعرف عنهم شيئا غير أنه رجع ومعه شرح المكودي [٦٩] على الألفية واستقر بمنطقة القبلة (منطقة الجنوب الغربي)ينشر النحو، وهو ما

---

٦٣ - للتوسع في المراحل التي مر بها التعرب يمكن الرجوع للشعر الشنقيطي : ص ٧٦ وما بعدها

٦٤ - Moamed Moctar O Bah: Introduction à la Poesie Mauritanieene P٨

٦٥ - الشعر لشنقيطي ص ٧٨

٦٦ - فتح الشكور ص ١١٣

٦٧ - م.ن ص ١٥٩

٦٨ - م.ن ص ٢٧

٦٩ - ابـــو زيد عبد الرحمن بن صالح المكودي(ت ٨٠٧هـ) مؤسس مدرسة ابن مالك بالمغرب ، له شرحان على الألفية، من تلاميذته: ابن مرزوق الحفيد (ت ٨٤٢هـ) .راجع بن اباه : النحو ص ٣٨١.

wadod.org

جعله يلقب بالنحوي لتفرده به آنذاك، وتذكر بعض المصادر أن سر تفوق المختار بن بونه في النحو هو كونه حفيدا لهذا اليدالي أنجبت إحدى بناته ببونه فرضعه منها [٧٠]، "والسر إيجيبوه أولاد لمنات" [٧١].

وفي هذه الفترة تصادف محمد بن ابي بكر بن هاشم القلاوي (ت ١٠٩٨هـ) الذي كان من علماء النحو المشهورين ومن شيوخ عمر بن بابا بن علي بن اندعبد الله (ت ١١٤٥هـ) الذي تخرج على يده إمام النحاة في ولاتة عمر ممو (ت ١٢٠١هـ)، وقد أخذ النحو عن الطالب محمد بن الاعمش العلوي [٧٢]، وقد وصفه البرتلي بقوله:"نحويا لغويا أديبا ... عارفا بالفقه والنحو مستحضرا لهما ومطلعا على دقائقهما" [٧٣]، فنراه قد تخرج على يديه جمع من نحاة هذا البلد إلا أنه على ما يبدو لم يترك أثرا وإن كان تركه فقد ضاع.

ونصل إلى الطالب محمد بن الاعمش [٧٤] الذي صنف أول مؤلف في النحو عرفته البلاد وأسماه " المنن العديدة في شرح الفريدة"، واعتمد فيه على المطالع السعيدة للسيوطي وكان يورد نص التسهيل بلفظه ليكون دليلا على المسألة، كما أنه أورد ما تيسر له من النقول [٧٥] ، فكان بحثا فريدا في هذا الفن في تلك الفترة

مما سبق يمكننا القول إنه ابتداء من القرن ٩هـ/١٥م بدأت تظهر في الأفق ملامح مدرسة نحوية يتفاوت أهلها في القدرات وسعة الاطلاع وتفاوت المواهب، غير أنه لا ريب أن هذا الوعي النحوي ظل يتنامى مع الزمن وينتشر أفقيا في أوساط الزوايا حتى وصل مرحلة النضج عند متأخري هذه الأجيال ممن كان لهم فضل السبق في التدريس والتأليف من أمثال اندعبد الله الولاتي وبن تكدي اليدالي ومحمد بن ابي بكر القلاوي وشيخه ابن الاعمش وغيرهم ممن سبق ذكرهم، أو محمد بن آبه القلاوي ومحمد بن سعيد اليدالي وانجبنان الحيبلاوي الذين سنختم بهم هذه الفترة.

ومن اعلام هذا الجيل محمد بن آب القلاوي (ت ١١٦٠هـ) [٧٦] الذي نظم مقدمة بن آجروم يقول

---

٧٠ - ذكرنا هذه القصة معزوة ليوسف مقلد: شعراء موريتانيا القدماء والمحدثين ص ٣٤٢

٧١ - مثل حساني مفاده أن ما كان للشخص من خصائص وصفات تنتقل وراثيا لأبناء البنات

٧٢ - النحو العربي ص ٤٥٠

٧٣ - فتح الشكور ص ١١٤

٧٤ - محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (١٠٣٦هـ/١٦١٥م - ١١٠٧هـ/١٦٩٦م) كبر فقهاء مدينة شنقيط وأحد أبرز الوجوه العلمية في القرن ١١هـ، أول من أحاد من أهل تلك البلاد في تصنيف التوازل ، له عدة مؤلفات في الفقه والنحو ، حقق توازله محمد الامين بن الشيخ محمد الحافظ في رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا، ترجم له بن الحسن: الشعر الشنقيطي ص ١٧

٧٥ - راجع تاريخ النحو العربي ص ٤٤٩

٧٦ - الشواق دارا ومنشأ ، فقيه ونحوي وصرفي ، كانت له علاقات مع الشيخ سيدي المختار الكنتي له مؤلفات منها: العبقري، ونظم سهو الأخضري، ونظم لصغرى السنوسي. ترجم له محقق منظومة عبيد ربه وشرحها: سيدنا عالي بن الشبكي، مذكرة تخرج المدرسة العليا ١٩٨٥ ص ١٧-١٨

wadod.org

في أولها :

قـال عبـيـد ربـــه محمـــد الله فـــي كـــل الأمـــور أحـمد
مصـلـيـــا علـــى الرســول المنتقى وآلـــه وصحبـــه ذوي التقـــى
وبعـــد فـالقصـــد بـذا المنظوم تسـهـيـل منثـور ابـن آجـــروم

وهذا النظم هو المعروف محليا بـ"عبيد ربه" لافتتاحه نظمه بهذه العبارة.

وقد أسهمت هذه المنظومة في تيسير حفظ مضمون هذه المقدمة واقتصر عليها بعض الطلبة ممن لا يريد التوسع في علوم النحو والغوص في بحره اللجي .

ويندرج في هذه الفترة عمل محمد بن سعيد اليدالي [٧٧] الذي ألف كتابا في النحو يدل على طول باعه في هذا الفن، وقد أسماه " الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلم الجنس " وعنوانه يدل على أن صاحبه ليس ممن كان يسبح على سطح النحو،بل كن غواصا يمخر العباب ويبلغ القاع وينتقي الأصداف ،إذ ينطلق من التعريف والتمثيل لينتهي إلى التعليل مستطردا المذاهب الشاذة واللغات النادرة والصيغ المقيسة والمسموعة ، يقول في مقدمة كتابه:"هذا تعليق على الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلم الجنس فإنه عسر على كثير من أهل هذا العصر حتى قال القرافي :" الفرق بينهما عسير من نفائس المباحث ومشكلات المطالب " [٧٨].

ونختم هذه الفترة بالمختار بن الأمين الملقب انجبنان الذي تقدم ذكره فهو الذي مهد السبيل بحق وذلل العويص بكتابه " شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل" وقد ضمنه خلاصة أمهات كتب مدرسة ابن مالك التي لم تمتد إليها أنامل المؤلفين ولا عرفها الدارسون قبل مدرسة ابن بونه.

غير أنه بعد اكتشاف الدكتور ابن اباه لهذا الكتاب وتقديمه عرضا عنه في كتبه "النحو العربي" ظهر مولود جديد ربما يغير معطي درج عليه الباحثون من قبل وهو أن ابن بونه كان المُنَظِّر الأول والمؤسس الحقيقي لمدرسة ابن مالك بهذا البلد .

فيمكن القول عند ظهور هذا الكتاب أن انجبنان كان أول من وضع حجر الأساس لهذه المدرسة وحدد معالمها ثم خلفه ابن بونه ومن بعده من تلامذته لإكمال هذا الصرح واتقانه، فإن تجاهلنا دوره الرائد في هذه المدرسة فقد غمصناه حقه و لم نعرف له فضله وسبقه فقد قال عنه ابن اباه في سياق وصف مضمون الكتاب "وقد ضمنه خلاصة أمهات كتب مدرسة ابن مالك بأسلوب مدرسي شيق ومنهج قويم من غير إطالة ولا إخلال ،فكانت تلخيصاته ونقوله محكمة متكاملة وشاملة... وكان عرضه لمحمل المسائل

---

٧٧ - محمـد بـن المختار بن محمد سعيد المعروف بمحمد اليدالي(١٠٩٦هـ/١٦٨٥م - ١١٦٦هـ/١٧٥٣م) من أكبر علماء البلد ورواد حـركة التأليف ، فقيها مفسرا وشاعرا ، له مولفات منها : تفسير الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، وأمر الولي ناصر الدين وفرائد الفوائد والحلة السيراء وديوان شعري. راجع بن الحسن الشعر الشنقيطي ص ٨٥ والمنارة والرباط ص ٥٢٩

٧٨ - أواد بن محمد الامين:تحقيق كتاب الفرق بين اسم الجمع واسم الجنس ص ٦٥ . جامعة انواكشوط ١٩٨٧

wadod.org

في أوائل الأبواب في تفاصيلها... ثم يختم بالقول :ويدل هذا الكتاب على أن مدرسة ابن مالك توطدت في عهده واستكمل اسسها ومناهجها " [٧٩].

وقد لخص أحدأعلام عصر المؤلف قيمة الكتاب في أبيات شيقة رسمت على أول صفحة منه يقول (البسيط):

كل الذي تبتغي مما تأصل في ... مسائل النحو ذا الجمع يحويه
فهاكه جامعا لما تفرق من ... كتب النحاة فلا شرح يساويه
شرح بديع لا نظير له ... مهذب فاز بالمطلوب حاويه [٨٠]

وخلاصة القول أن هذا الرجل قد هيأ لاحتضان مدرسة ابن مالك فلا يمكن في أي حل تصنيفه خارج حلبتها ولا إلحاقه بمن قبله لأنه فاق شأوهم تجاوز مداهم فإما أن يصنف رأس هذه المدرسة و يكون برزخا بينها وبين ما قبلها في اتجاه مستقل وفي كلتا الحالتين فهو مولود حق لمثله ضرب دفوف البحث العلمي ، وحري بمثله أن يفسح له في المجلس فيجد مكانه اللائق به ويسد فرجة في حلقة الدرس طالما تصدعت فهيضت ـــ عند ظهوره ـــ فعادت كما كانت أو أحسن.

فأين مكان ابن بونة من هذه الحلقة؟ وما دور جامعه بين لمقررات المحضرية الشنقيطية؟

ثالثاً – جامع ابن بونه:

قبل الحديث عن الجامع يجدر بنا أن نقف وقفة قصيرة مع مؤلف وأهم مخرجي مدرسته فالمختار بن بونه الجكني [٨١] هو ابو النحو بهذا البلد ومؤلف كتاب الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة الذي يعد محور المقررات المحضرية وقد أشار إلى ذلك تلميذه حرمه بن عبد الجليل العلوي [٨٢]، ذكر أنه لخص التلخليص وسهل التسهيل، يقول [٨٣]:

---

٧٩ – تاريخ النحو العربي ص ٤٥٠

٨٠ – نفس المرجع ونفس الصفحة

٨١ – المختار بن سعيد (١١٤٣هـ – ١٢٢٠هـ) نحوي لغوي بياني منطقي ، مدرس لعلوم العربية ، المنقولة والمعقولة من مؤلفاته : وسيلة السعادة في علم التوحيد والجامع بين التسهيل والخلاصة ونظم التلخيص في البيان، والتحفة وهي مختصر السوسي في المنطق ، ونظم جمع الجوامع لابن السبكي ومقدمة في النحو للمبتدئين كان رحالة لا يكاد يضع عصى الترحال .ترجم له فتح الشكور ١٤١-١٤٢ وابن الرباء ص ٦٣-٦٥ والمنارة ص ٥٣٠ والنحو العربي ص ٤٥٢-٤٦٦

٨٢ – (١١٥٠هـ /١٧٣٧م – ١٢٤٣هـ/١٨٢٨م) شيخ محضرة كبيرة من أجل مشايخ عصره، أخذ عن ابن بونه ، وأخذ عنه جمع من العلماء منهم: الشيخ سيديا الكبير، له ديوان شعري حققه الباحث محمدي بن التحالي سنة ١٩٨٦م. ترجم له فتح الشكور ص ٩٣ والمنارة ٥١١

٨٣ – النحو العربي ص ٤٥٣

wadod.org

فمـــن ســـهل التســـهيل بعد صعوبـــة ومـــن لخـــص التلخيـــص درا منظمـــا
وأغـــنى عـــن الشـــيخ السنوسي منطقا وعلـــم كـــلام مـــن يـــريـــد تكلمـــا
وأنت أبـــو عـــذر العويـــص الـــذي نبا شـــبا كـــل فهـــم دونـــه وتثلما

ويسترجع حرم ذكريات أيام دراسته في كنف البوني معددا ما أمكن من الكتب التي كانت بحوزته، يقول [٨٤]:

كنـــا مـــع البـــوني فـــي عـــرصـــاتها هـــالات بـــدر لم يشـــبهـــا غيهـــب
فيهـــا تجمـــع ســـيبويه ويوســـف والكـــاتبـــي والأشـــعري وأشـــهب

وقد أسس ابن بونه محضرة لغوية متميزة جمعت مؤلفات ابن مالك إلى جانب شرح ابن الدماميني للتسهيل وكتب التصريح والصبان وغيرهما .

كما تخرج على يديه مجموعة كبيرة من الأعلام البارزين تفرقوا في البلاد ينشرون مذهبه النحوي، وسعوا جاهدين إلى مد جسور مدرسته بمختلف خصائصها.

وحسبنا أن نقول إن المتصدرين للتدريس من خريجي هذه المحضرة يعدون بالعشرات، وقد ذكر محقق ديوان ابن بونه من تلاميذته الكبار ٢١ شيخا [٨٥] ومن أبرزهم لمجيدري بن حبلله اليعقوبي [٨٦] ، وسيدي عبد الله ابن الفالي [٨٧] وعبد الله بن الطالب أحمد [٨٨] ،وأحمد المامون بن محمذن الصوفي [٨٩] ، وغالي بن المختار البوصادي [٩٠] ، ومولود بن أحمد الجواد اليعقوبي [٩١] وغيرهم.

---

٨٤ - نفس المرجع ونفس الصفحة

٨٥ - الشريف بن محمد محمود ، تحقيق ديوان ابن بونه ص ١٢٠

٨٦ - كمـــال الديـــن محمد لمجيدري بن حبلله اليعقوبي (ت ١٢٠٥هـــ/١٧٨٨م) فقيه سلفي اشتهر بخلافه مع شيخه المختار بن بونه وبعض أعلام البلد الآخرين في مسائل كلامية، وكان ذلك بعد رحلة حج مر فيها بمصر والمغرب فلقي بعض العلماء الأحلاء مثل المرتضى الزبيدي وأخذ عنهم. انظر المنارة ٦٢٢ والوسيط ص ٢١٤ والشعر الشنقيطي ص ١٠٩

٨٧ - الباركلي. عالم جليل عاصر المجيدري وأخذ عن المختار بن بونه (ت ١٢٠٩هـــ) بن اباه : النحو ص ٤٥٥-٤٥٦

٨٨ - ابن الحاج حماد الله القلاوي(ت ١٢٠٩ هـــ/١٧٨٥م) عالم باللغة والبلاغة والعروض والنحو، أخذ عن خاله سيدي عبد الله بن الفاضل الشمشـــموي وعـــن المختـــار بن بونه من مولفاته : نظم الرسالة ونظم في العروض . ترجم له فتح الشكور ص ١٧٠ والوسيط ص ٩١ والمنارة ٥٢٠

٨٩ - الـــيعقوبي (١١٤٠هـــ/١٧٢٩م - ١٢٣٥هـــ/١٨٢١م) ، شاعر عالم أخذ عن بن بونه ثم وقف مع المجيدري صده ، له شرح للألفية وتعليق على أمالي أبي علي القالي وديوان شعري ، ترجم له ابن الحسن الشنقيطي ص ٢٣٥ والوسيط ص ٢١٧ والمنارة ٥٢٢

٩٠ - (ت١٢٤٠هـــ/١٨٢٤م) عـــالم لغوي وشاعر، من أعيان علماء مدينة شنقيط، من آثاره: نظم لأمهات المومنين، شرح وطبع بالحجاز، ترجم له:في المنارة ص ٥٢٢ والوسيط ص ٣٧٢-٣٧٤.

٩١ - مـــن فحـــل الأعمام (١١٧٠هـــ/١٧٦٨م - ١٢٤٣هـــ/١٧٢٧م) عالم وشاعر مفلق أخذ عن ابن بونه ووقف إلى جانب لمجيدري له مولفـــات في أصـــول الفقه والنحو والتصريف وشرح وسيلة ابن بونه في علم الكلام، له مديحيات مطولة اشتهر بها. ترجم له الوسيط ص ١٩٣-٢١٤ والشعر الشنقيطي ص ١٥١-١٥٢ وبن اباه : الشعر والشعراء ص ٧٣ والمنارة ص ٥٢٢.

wadod.org

ونصادف طالبين من طلبة ابن بونه كانا دعامتين كبيريتين في مدرسته هما قطبي رحى هذه المحضرة، وعنهما أخذ خلق كثير وهما:

حرمه بن عبد الجليل العلوي الذي يقال إنه ساعد شيخه في تجميع مادة الجامع، ويروى عنه قوله:"إنه لو أخذ ما نظم من احمرار ابن بونه لم يبق له ما يسمى عليه"[٩٢] .

أم الثاني فهو بلا بن فاضل الشقروي [٩٣] الذي نوه به باب بن أحمد بيبه[٩٤] بمعارفه القرآنية واللغوية قائلا:[٩٥]

يـــا رب ابـــق لنـــا بـــلا لنســـألـــــه عـــن كـــل ســـــر من القرآن محتجب

وعـــن دواويـــن شـــعر لا يفســـــرها إلا ابـــن بجدتهـــا ابـــن الفاضـــل ابن أبي

وكان لا يأبه بمن لا يفقه النحو ولايميز بين المذكر والمؤنث ولايقيم له وزنا ويعده كالجماد أو المعدوم استخفافا به، يقول :[٩٦]

لايؤ لم الضرب من من لايميز للزيـــــــ ـــدون يدعـــون والهنـــدات يدعـــونـــا

ويعد أكبر تلامذة ابن بونه ومن أعلمهم بالنحو، وقد تخرج على يديه نحاة كثيرون " ولذا نعتبره الموصل الأول للمنهج البوني النحوي في المنطقة الجنوبية (القبلة) لايزاحمه في ذلك إلا نده حرمه بن عبد الجليل العلوي [٩٧].

وقد شملت مدرسة بلا كل علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وانتشرت فروع منها في كل من السينغال ومالي وغينيا على أيدي أبرز تلامذته الحارث بن محنض الشقروي [٩٨]، ولم يكن بلا ممن ترك تآليف بعده، غير أن أغلبية أسانيد ابن بونه النحوية تنتهي إليه.

٩٢- النحو العربي ص ٤٥٦

٩٣ - راجع ابن اباه : النحو ص ٤٧١

٩٤ - العلـــوي (١٢٠٧هـــــ/١٧٩٣م - ١٢٧٦هـــــ/١٨٥٩م) عالم جليل وشاعر متصوف بلغ في العلم والفنيا صعيدا، له مؤلفات منها :منظومة في وفيات الأعيان ، حقق ديوانه المرحوم محمدي بن حيوي وترجم له ترجمة وافية سنة ١٩٨٤ المدرسة العليا للتعليم ، وترجم له الوسيط ص ٣٤-٣٧

٩٥ - ابن الأمين : الوسيط ص ٣٣٩

٩٦ -نفس المرجع ونفس الصفحة

٩٧ - ابن ا لبراء : لألفية ص ١٠٧

٩٨ - (ت ١٣١٩هـــــ/١٩٠١م) نحوي لغوي ضليع ، أخذ عن محنض بابه وأبي عبدم الديمانيين وحبيب الله ابن الأمين الشقروي ، وأخذ عنه أحمـــد مختـــار أن ويـــورو بال ، له مؤلفات منها : اختصار المواهب النحوية لابن حبت القلاوي وشرح الشعراء الستة الجاهليين، وصفه صاحب الوسيط بأنه" لم يسبق إليه" راجع الوسيط ٥٨٠ وابن البراء ص ٨٢ والمنارة ٥١١

wadod.org

ولعل أبرز خريجي هذه المدرسة البلاوية محمد المختار (الداه) [٩٩] بن احمد فال العلوي الذي أخذ الجامع عن بلا، وعن الداه أخذ ابنه محمد[١٠٠] إجازة، وعن ذا أخذ محمد فال(أباه) [١٠١] بن عبد الله مؤلف كتاب تسجيل التكرار لشرح الاحمرار الذي سنتحدث عنه في شروح الجامع قريبا بحول الله

وكتاب "الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة" هو عبارة عن نظم الخلاصة لابن مالك ممزوج بنظم المختار نفسه للتسهيل مع زيادة شروح وإضافات.

ولا بأس بالتنبيه إلا أن النحو الشنقيطي قد استوى على سوقه غب ظهور هذا الجامع الذي يعتبر بحق العمود الفقري لنحو القوم، فهو أساس المقررات المحظرية، وعماد البرامج الدراسية، فقد استطاع مؤلفه أن يمزج منظومه بمنظوم ابن مالك، فامتزجا امتزاج اللبن بالماء، وأصبحا متداخلين لا يمكن التفريق بينهما إلا من خلال لون الحبر، إذ اصطلح أهل هذا القطر أن يكتبوا الخلاصة بالأسود وتوشيح المختار بالأحمر، ومن هنا اشتقت تسميته بالاحمرار.

ويمكن تقسيم الجامع إلى قسمين كبيرين :

أ – التوشيح أو الاحمرار:

وهو تذييل يساير أبواب الخلاصة ويتتبع مسائلها بدء بقوله في باب الكلام :

وهـــو لعـــين أو لمعنى وهو في حاليـــه وصفا وسمى أيضا يفي وانتهاء بقوله في الإدغام (الغنة):

والنون دون غنة إن سكنت معهـــــا بينمو ذاك في كلمتـــين في الراء واللـــام ادغم وادغمت وقبـــل حرف الحلق أظهر دون مين وهذا التذييل رجز يجمع الأحكام النحوية التي فاتت ابن مالك في الخلاصة – وإن لم يهملها في الكافية والتسهيل – واستدراك دقيق يتتبع أبواب الألفية مضيفا إليها مكملا مباحثها.

---

٩٩ – (١٢٤٨هـ/١٨٢٨م – ١٣٤٢هـ/١٩٢١م) عالم جليل اشتهر بورعه ، له مؤلفات منها : تعليق على شرح يوسف الشنمري لدووين الستة الجاهليين، وفي الفقه: الفوائد الصغرى في فضائل الأعمال وكتاب المسائل في فقه المعاملات وغيرها ، ترجمنا له في أطروحتنا لدكتوراه الدولة ص ٣

١٠٠ – محمـــد بـــن محمـــد المختار بن احمد فال العلوي (١٣٠٩هـ/١٨٨٩م – ١٣٧٤هـ/١٩٥٣م) عالم جليل ولعوي محدث حافظ ، له مؤلفـــات منها : دراس أهل الســـة في الحديث وعدة مؤلفات في اللغة ، وشرح ديوان الحاج محمد الكوخي المسمى :" الكبريت الأحمر " (مطبوع) ترجمنا له في رسالتنا لنيل التبريز في تحقيقنا لديوانه سنة ١٩٨٥، ص ١٨ و أطروحتنا لدكتوراه الدولة ص ٣ وترجمه له ابن حامد الجزء ٢١ ص ٦٥ والمنارة ص ٥٩٥-٥٩٦

١٠١ – اســـتاذنا العلامـــة محمد فال (اباه) بن عبد الله بن محمد فال بن باب العلوي) (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م – ....) صاحب محصرة كبيرة في النباغية يدرس فيها عشرات الطلبة من مختلف أقطار العالم، له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم اللغوية والشرعية أهمها: تفسير القرآن الكريم أسمـــاه" ســـقاية الظمـــآن في تفسير القرآن" (مخطوط في عدة مجلدات) وحاشية على كتاب الشفاء للقاضي عياض نظمه محمد الحافظ ولد الســـالك ونيل الســـول في شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم (مطبوع على الحاسوب) وطرة على مراقي السعود في الأصول وشرح ديوان دي الرمة وشرح احمرار ابن بونه ومؤلفات كثيرة أخرى . راجع ترجمته في تحقيقنا لشرح احمرار ابن بونه له ص ١-٢١.

wadod.org

وفي هذا الاحمرار نقف على إضافات جديدة شملت فصولا حذفها ابن مالك، مثل الموصول الحرفي والتاريخ والقسم والهجاء ومخارج الحروف وبعض التصريف مثل الإلحاق والقلب، وقد نحا الناظم في هذه الإضافات نحو الإمام السيوطي.

ب - الطرة :

وهي تقييد مفيد لما قصر عنه في النظم أتى به منثورا فكمل به عمله وأودعه في تضاعيف مؤلفه، وهي عبارة عن مجموعة من الحواشي والأنظام الجانبية والتعليقات المحاذية وضعت بأسلوب يطبعه الإيجاز وبشكل بديع يخيل لرائيه أنه أمام تخطيط عمراني لشكل هندسي عجيب تولى صياغته وإحكام بنائه مهندس معماري عالي الخبرة، فترى الطرق الكبيرة مشقوقة بين أبيات النص تتخللها ممرات وبجانب تلك الممرات أشكال هندسية غريبة صُفّت بصورة محكمة الصنع؛ ففيها الدوائر والمثلثات والمربعات والنجوم وإشارات أشبه ما تكون برموز قانون الطرقات.

وتكون هذه الإشارات عادة عند الكلمات المفاتيح في النص أو نهايات الأبيات أو الفقرات أو الأشطر حيث تمتد من هذه الإشارات أسهم أو رموز تنتهي بفك تلك الرموز أو شرح تلك الكلمة أو البيت أو الشطر.

وفي هذه الطرر من الفوائد والمزايا - فضلا عن كونها تفك رموز النص - أنها تجعل الشكل الخارجي للنص جميلا وجذابا، وبعض هذه الطرر تحار فيها العين لجمالها، ثم إنها تقتصد الورق، فتحمل الورقة الواحدة ما تنوء بحمله العشرة، والقوم في هذا القطر أشد ما يكونون حاجة للورق، فهو عندهم عزيز لفرط حاجتهم إليه.

وقد حرص الموريتانيون على التمسك بظاهرة الطرر لكونها تساعد على الحفظ، إذ لا يجعل في الطرة من العبارات إلا التي أحكم نسجها وراق أسلوبها ومتنت عباراتها وأصبحت ميسرة للحفظ.

فهم يستظهرون الطرر استظهار النصوص والأنظام. وقد بلغت الطرر والحواشي المحاذية للاحمرار حدا يفوق الحصر، إذ أصبحت تتعدد بتعدد المحاظر، حتى سمي بعضها بأسماء أصحابها "طرة يحظيه" ، وبعضها مشتق من صفة الطرة كتسميتهم "امليويحه" في كونها مختصرة تلوح بالشيء اختصارا، وبعضها نهاية في التوسع والإطالة كطرة "أم الحواشي" إلى غير ذلك.

والطرة تبدو صعبة المراس، إذ تحتاج إلى ذهن متوقد وذكاء حاد، فدارسها يجب أن يتسلح بكثير من اليقظة والنباهة، إذ يزاوج في الوقت نفسه بين قراءة متن المنظوم، والرجوع إلى التقييدات المتفرعة عن الأبيات.

أما مادة الطرة فهي مأخوذة من شروح التسهيل كالمساعد والدماميني والمرادي، كما تستقي من الصبان والأشموني والتصريح إلى غير ذلك.

wadod.org

رابعاً ــ شروح جامع ابن بونة:

وقد تسابق علماء الشناقطة إلى فك رموز هذا النص، وتبيان غوامضه، مفتقين عيونه الثرة مبينين للناس دلالاته المختلفة. فكيف راضوا هذا الممتنع الحرون طيلة ما يقارب الثلاثة من القرون؟ وهل ذللوا منه الصعاب حتى اتضح الملتبس واستبان ما يقصدون من الطرة ويعنون؟ وهل اجتروا وأعادوا أم أنهم تناولوا ذلك بأسلوب بهجة في الاختيار تطمئن إليه النفس، ويشرق به القرار، وتنار به الأفكار؟.

وفي الأخير هل يجوز القول إن سعيهم إلى محاورة هذا المنظوم تيسير مبين وقول مختار اتبعوا ضمنه منهاجا متميزا لتنبيه الصغار يروم جمع النظائر وتسجيل التكرار؟.

شروح الجامع :

لقد اعتنى الموريتانيون بالجامع البوني اعتناء كبيرا، فشرحوه وتناولوا طرته وشواهده بالدرس والتمحيص.

وقد وقفنا خلال هذه الجولة النحوية على ثلاثين شرحا لهذا الكتاب، منها أحد عشر مكتملة وموجودة، أما التسعة عشر الأخرى فهي ما بين ناقص مبتور وضائع مفقود، وقد سعينا جهدنا إلى ترتيب هذه الشروح ترتيبا زمانيا، نسطره تباعا فيما يلي :

أ - الشروح الناقصة المبتورة (من ١ إلى ١٩).

ب - الشروح المكتملة الموجودة (من ١ إلى ١١).

أ - الشروح الناقصة المبتورة :

١- اختصار المواهب النحوية للحارث بن محنض الشقروي.[١٠٢]

٢- المواهب النحوية على الخلاصة والألفاظ البونية لمحمد بن سيد أحمد بن محمد الإمام الملقب بحبت القلاوي[١٠٣].

و"المواهب" عبارة عن موسوعة ضخمة يقع في أربع مجلدات كبيرة، تلقاه الناس بالقبول فاستفادوا منه كثيرا حتى اقتناه جل الطلبة والمدرسين.

قال ابن حبت في كتابه ذاكرا الدوافع التي حدت به لتأليفه:«قال لي من لا يمكنني الركون إلى مخالفته لوفور عقله وعلمه وديانته، كان مما ينبغي بل يتعين أن تبين محامل إطلاقات تلك الكتابات النحوية مما

---

١٠٢ - العالم اللغوي الشهير أخذ عن حبيب بن ألين عن بلا الشقروي ت١٣١٩هـ ، ذكر ابن البرا أن العلامة اباه ولد عبد الله اطلع على هذا الكتاب في مكتبة أستاده ألين بن سيدي. ابن البرا ص:٨٩ وذكر ابن الأمين ــ في الوسيط ــ الحارث بن محنض لكن لم يترجم له لتخلف الشرط كما قال الوسيط ص: ٥٨٠.

١٠٣ - من أجل علماء عصره وأطولهم يدا في النحو نشأ بشنقيط وألف ودرس بها توفي ١٢٨٨هـ انظر ترجمته في النحو العربي ٥٠١ وابن البرا ص: ٨٠.

wadod.org

سواها في ما اشتملت عليه من الخلافات ومحال الشواهد فيما يحتاج إلى ذلك من الأبيات والآيات...».[١٠٤]

ثم تحدث عن منهجه في الكتاب فقال: ثم إنه لما كانت تلك الكتابات ممتزجة بالخلاصة امتزاج الماء بالراح وامتزاج الأجسام ذوات النفوس بالأرواح، شرعت في الشرح لجميع ما هنالك والإيضاح، ضاما إلى ذلك من الفوائد ما ينشرح له الصدر أي انشراح، ناقلا عليه من كلام الأئمة ما يتبين به المرام وينكشف عن وجوه خرائد مخدراته اللثام ويروي كل غليل نحو ذلك المشرب وظام».[١٠٥]

أما عن المراجع فقال : اعتمدت في النقل على التسهيل وعلى ثلاثة من شروحه وهي الدماميني والمساعد ونتائج التحصيل، وعلى الأشموني وعلى محشيه الصبان، وربما نقلت من حاشية الشمني والرصاع، وعلى النكت للسيوطي والأشباه والنظائر له أيضا والارتشاف لأبي حيان، وشرح الكافية للمؤلف. فما اعتمدت عليه في النقل هذه الكتب، وربما نقلت عن غيرها كالعيني وخزانة الأدب والحماسة والقاموس والجوهري وغير ذلك ».[١٠٦]

فانظر إلى طول باعه وسعة اطلاعه على قلة الكتب في عصره.

٣-الطرة الحمراء لمؤلفها زين بن ألمين،[١٠٧] وكانت نصا معتمدا في بعض المحاظر خلال القرن الثالث عشر الهجري، فقد نظم منها أحمد بن الجمد اليدالي[١٠٨] بعض المسائل، وأحال إليها عدة مرات، يقول[١٠٩]:

وارفع مضارعا إذا يجرد ... من ناصب وجازم كتسعد

بذلك التحريد للفراء ... كما يرى في الطرة الحمراء

٤-إشراق القرار بحل ما عقده المختار لأحمد بن محمد عينين.[١١٠]

٥-حاشية على الجامع لأحمد بن زياد الأبهمي.[١١١]

---

١٠٤ - مقدمة المواهب (مخطوط)، ص ١.

١٠٥ - مقدمة المواهب (المخطوط السابق)، ص ١-٢.

١٠٦ - المخطوط السابق نفسه.

١٠٧ - زين بن ألمين بن ألفغ المختار اليدالي ت١٢٩٠هـ تلميذ بلا وعنه أخذ كثير من اليداليين كزين بن الجمد وأخيه أحمد راجع ابن البراء ص:٧٩ فقد ذكر الطرة الحمراء.

١٠٨ - (١٢٦٤ هـ / ١٣٥٤ هـ) لغوي ونحوي بارز، له مشاركة في الفقه والشعر ومنظومات عديدة بالإضافة إلى مقارب ديوان شعري. انظر "العلماء الشناقطة توسع في المغرب واستيعابه، أحمد بن الجمد نموذج ومثال" مقال محمذن بن المجبوي، منشور في مجلة موريتانية.

١٠٩ - ابن البراء، مرجع سابق، ص ٧٩.

١١٠ - ابن أحمد الهادي اللستوني التمدكي (١٢٤١-١٣٢١هـ) تخرج من محظرة الكحلة بالبراكنة له شرح حليل في جزأين. راجع ابن البرا ص: ٨٣ وابن محم ص: ٣٣ والمنارة والرباط ص: ٥٤١.

١١١ - (١٢٤٢-١٣٢٢هـ) عالم متبحر في علوم عصره ممن يرجع إليهم في القضاء في عصره. له مؤلفات منها تفسير القرآن في أربع مجلدات ونظم في مدافن أهل إكيدي وكتاب القراءات السبع. ذكر مؤلفه ابن البراء ص ٨٣ وابن محم ص: ٣٣ والشريف بن محمد محمود تحقيق حياة ابن بونه وآثاره سنة ١٩٨٢.

wadod.org

٦-العين الثرة في معاني وألفاظ الطرة لمحمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي (ت١٣٢٣هـ)[١١٢].

٧-شرح الاحمرار لمحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني (ت١٣٣٥هـ)[١١٣].

٨-شرح الاحمرار المسمى: بهجة الأخيار على ألفية الاحمرار لمحمد يحيى بن سليمه

٩-شرح ألفية ابن مالك واحمرارها لابن بون لمحمد يحيى بن سليمه[١١٤].

١٠-شرح الجامع للشيخ محمد العربي بن زين الجماني[١١٥].

١١-حاشية على الجامع لمحمد بن عبد الله بن أوبك الجكني[١١٦].

١٢-تعليق على الاحمرار لعبد القادر بن عبد الله بن محمد بن محمد سالم المجلسي (١٢٨٥-١٣٨٦هـ)[١١٧].

١٣-شرح الجامع لألمين بن الغزالي الشقروي[١١٨].

١٤-شرح الجامع لمحمد محمود بن عبد الفتاح الأبييري(صدر القرن ١٤هـ)[١١٩].

١٥-شرح الجامع للشيخ محمد محفوظ ولد الشيخ أحمد تاج العارفين(تلميذ الشيخ سعد أبيه ت١٣٣٥هـ)[١٢٠].

---

١١٢ - ذكره ولد محم ص:٣٣.

١١٣ - له مؤلفات كثيرة نذكر منها شرح خليل المسمى بالنصيحة وشرح مراقي السعود: مراقي الصعود إلى مراقي السعود وشرح الإضاءة للمقري وشرح تبصرة الأذهان في البيان لابن بونه. راجع المنارة والرباط ص: ٥٨٦ - ٥٨٧ فقد ذكر له ٣٦ تأليفا عدها بأسمائها وابن البرا ٨٣ وابن محم ٣٣ وقائمة شراح الألفية والاحمرار في النحو العربي ص: ٥٤٠.

١١٤ - ذكر هذين المؤلفين (le catalogue) وهو معجم المؤلفات الموريتانية بدار الثقافة بواكشوط ، كما ذكرهما ابن البرا ص: ٨٤ والخليل ص: ٦٠٢ وابن محم ذكر شرح الاحمرار ص: ٣٣ أما ابن اباه فقد ذكر محمد يحيى بن سليمه في قائمة شراح الألفية والاحمرار ص: ٥٤٠. أما المؤلف فهو محمد يحيى بن سليمه الداودي اليونسي له ما يربو على مائة وستين تأليفا سمى الخليل النحوي منها ٧٥ حلها مختصرات وأنظام أهمها : اختصار صحيح البخاري واختصار بداية المجتهد واختصار الموطإ إلخ.

١١٥ - ذكره ابن البرا ص: ٨٥ وابن محم ص: ٣٣.

١١٦ - ولد أوائل القرن الرابع عشر الهجري أخذ عن يحظيه بن عبد الودود النحو كما أخذ اللغة عن عبد الله العتيق بن ذي الحلال اليعقوبي ألف في اللغة شرح ديوان عيلان وشرح المقصور والممدود والنحو بالتعليم النظامي حيث أصبح مدرسا حتى توفي ١٣٦٩هـ. ذكره ابن محم٣٣ وابن البرا ٨٥-٨٦ .

١١٧ - صاحب مؤلفات كثيرة منها: قرة العينين في شرح النظمين. راجع ابن البرا ٨٣-٨٤ وابن محم ص: ٣٣ وموسوعة ابن حامد جزء المجلس.

١١٨ - تلميذ الحارث بن محنض الشقروي ت١٢٧٠هـ . ذكره ابن اباه ص: ٥٤٠ وابن محم ص: ٣٣ وابن البرا ٨٤ والخليل ٥٤٦.

١١٩ - من العلماء الذين اعتنوا بالتدريس إلا أنه لم يهمل التأليف. له نظم في النحو وآخر في مصطلح الحديث. ذكره ابن محم ص: ٣٣ وابن البرا ٨٥ أما الخليل النحوي فإنه لم يذكر له من مؤلفات النحو إلا كتابا واحدا راجع ٥٩٧ من المنارة.

١٢٠ - من العلماء الأجلاء وتلميذ الحارث بن محنض وهو متصوف ذكره مارتي في كتابه (le catalogue) وذكره ابن اباه ص: ٥٤٠ وولد محم ص:٣٣ وابن البراء ص:٨٤ والخليل ٥٧٦.

wadod.org

١٦-١٥-شرح أول الجامع إلى باب الابتداء لسيدي محمد بن عبد الرزاق بن سيدي محمد الأبهمي (ق١٤هـ)[١٢١].

١٧-تعليق على الجامع إلى باب التأنيث لأحمد سالم بن سيدي محمد الأبهمي (ق١٤هـ)[١٢٢].

١٨-شرح الجامع لمحمدو ولد الصفي التندغي (حيا ١٩٨١م)[١٢٣].

١٩-شرح الجامع للمختار السالم بن علي المالكي (حيا ١٩٨١م)[١٢٤].

٢٠-شرح الاحمرار للسالك بن البشير القلاوي[١٢٥].

ب - الشروح المكتملة الموجودة :

- روض الحرون من طرة ابن بون لعبد الودود بن عبد الله الحيبلي (١٢٢٤-١٢٦٨ هـ)[١٢٦]، قال صاحب الوسيط في معرض الحديث عن هذا الكتاب : "صغير الحجم إلا أنه كبير الفائدة ولا يستغني عنه نحوي"،[١٢٧] كثر تداول هذا الكتاب وكثر استنساخه في أوساط الطلبة والمدرسين وعم النفع به. وقد نظمه محمدو بن محمذن بن المختار الفاضلي[١٢٨] نظما طريفا، قال في أوله[١٢٩] :

قال محمد الذي قد انتمى ... بالاطراد لجدود كرما
لله حمد موذن على الدوام ... بزيد منّه على كل الأنام
أحمد قطب الكون في النور الأعم ... من بعثه أنا لنا خير النعم
وبعد إن البعض من ذوي الطلب ... "روض الحرون" نظمه مني طلب

---

١٢١ - ذكر ابن البرا ص:٨٦ أنه توجد نسخة من التأليف في قرية المؤلف (انيفرار) منطقة أترارزة. كما ذكره ابن محم ص٣٣.

١٢٢ -ذكره ولد محم ٣٣ وابن البرا ٨٧.

١٢٣ - ذكره ولد محم ٣٣ ولد البرا ٨٦ .

١٢٤ - له مولفات كثيرة راجع ابن محم ٣٣ وابن البرا ٨٦ والخليل ٦١١.

١٢٥ - ابن البراء ص: ٨٣ نقلا عن العلامة محمد سالم بن عدود وابن محم ص: ٣٣ وهذا الرجل بحثنا عنه كثيرا في المراجع الموريتانية و لم نقف له على أثر ولا عثير.

١٢٦ - نسبة إلى قبيلة أبناء حيبلة أحد النحو عن بلا وذا عن المختار، لعوي ونحوي كبير، له كتاب في تصريف الأفعال وكتاب المأسد وكتب أخرى في النحو واللغة. ترجم له الوسيط ص ٣٧٤ ترجمة وافية وابن البرا ص ٧٨ وابن اباه ص ٤٧٣.

١٢٧ - الوسيط ص: ٣٧٤.

١٢٨ - نحوي فاضلي أخذ عن ابن عبدم، وتخرج عليه علماء منهم : البراء بن بكي، والعلامة المدرس سيدي بن محمد بن أمين. له مجموعة أنظام في النحو من أهمها هذا النظم. ابن اباه، ص ٤٩٦.

١٢٩ - ابن اباه، المرجع السابق، ص ٤٩٧، وقد نسب ابن البراء هذا النظم لابن عبدم الديماني، وذكر أن نسخة مخطوطة منه توجد بمكتبة أهل اباه. راجع ابن البراء، ص ٧٨.

wadod.org

فـــرمـــت الابـــتـــداء بـــالذي قصـــد مرتجيـــا فـــتحـــا مـــن الله الصمـــد

أما منهجه فيه فإنه تتبع كل ما ذكر ابن بونه من عبارات الترجيح كقوله: على الأصح أو على الأظهر أو مطلقا أو مؤولا؛ فبين محمل الإطلاق وأوجه الأرجحية أو الضعف.

فعند ما يقول ابن بونه مثلا في الطرة: (بتاء الفاعل مطلقا) يقول عبد الودود مبينا لهذا الإطلاق: يعني مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة.

وعند ما يقول ابن مالك مخيرا في نصب أو جر التابع المضاف : واجرر أو انصب تابع الذي انخفض، يقول عبد الودود: ويقابل الأصح هذا قول سيبويه بمنع مراعاة محل المجرور.

وله استدراكات على تصحيح ابن بونه كقوله - أي ابن بونه - في باب الظرف (المفعول فيه) في إطلاقه بعد الأبد والدهر في قوله :

وهـــكـــذا الأبـــد والـــدهـــر إذا عـــرف والـــنهـــار والليـــل كـــذا

فقال عبد الودود معلقا : وجد هذا الإطلاق في بعض النسخ، وليس في التسهيل ولا في الشارحين "د" و"ع" (يعني الدماميني وابن عقيل).[١٣٠]

وقد أوضح عبد الودود منهجه حيث يقول : فلما كان تقييد الشيخ المختار بن بونه على الألفية وعلى توشيحه إياها ظاهر الإفادة والمزية وبه اشتغال أهل هذه الجهة الغربية إلا أن فيه إطلاقات وتأويلات تركها سدى، وتصحيحات واحتمالات وتخريجات لا يدرى مقابلها أبدا سألني بعض أهل العصر تأليفا يبين لغزه ويفتح عويصه ورمزه... فقلت مستعينا بالله تعالى...".[١٣١] 131

أما المراجع التي اعتمد عليها في عمله فهي شرح التسهيل لابن الدماميني الذي يرمز له بـــ«د» وشرح ابن عقيل ويرمز له بـــ«ع» والتصريح على التوضيح ويرمز له بـــ«خ»، وإن نقل عن غير هذه سماه باسمه أو كنيته أو نسبه كما صرح بذلك.[١٣٢]

٢. - اختصار المواهب لابن حبت القلاوي (ت ١٢٩٩ هـــ)[١٣٣] :

وكتاب اختصار المواهب سماه مؤلفه "المواهب النحوية والخلاصة المالكية والألفاظ البونية". يقع الكتاب في أربع مجلدات موزعة على أرباع الألفية، طبع الجزءان الأولان منهما وعلى هامشهما القول

---

١٣٠ - محمد الأمجد بن لبات ومحمد الأمين بن محمد محمود، تحقيق روض الحرون من طرة ابن بونه، المدرسة العليا للأساتذة، ١٩٨٣، ص ٥٥.

١٣١ - روض الحرون (مخطوط مكتبة أهل اباه بالباغية).

١٣٢ - تحقيق روض الحرون، ص ٢ من المتن المحقق.

١٣٣ - الشيخ محمد بن سيدي أحمد بن الإمام أحمد. أخذ العلم عن والده وكان عالما مدرسا. راجع ابن البراء ص ٨١ وحياة موريتانيا للمختار ابن حامدن (مخطوط)

wadod.org

المختار تأليف السلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ.[١٣٤]

وقد قال الدكتور محمد المختار بن اباه معلقا على اختصار المواهب "يعتبر من أجود المختصرات لأنه التزم فيه بما يقول... ومما احتفظ به في هذا المختصر نسبة جميع الشواهد وشرحها... فصار اختصاره نوعا من التحريد لكتاب المواهب بدون إسهاب أو إخلال".[١٣٥]

أما سبب اختصاره للمواهب فيعود إلى أنه رأى فيه طولا وخروجا عن صلب موضوعه كادت أن تخرجه عن إطار النحو، فحذف كل الاستطرادات وأثبت كل ما هو ضروري ومفيد.

٣. - تنبيه الصغار في شرح الاحمرار لمؤلفه محمد عالي بن سيدي بن سعيد الحيبلي (١٢٢٠-١٣١٠ هـ)[١٣٦]

أما كتابه التنبيه فهو كتاب شرح فيه الجامع شرحا وافيا تلقاه الطلبة والباحثون في منطقة القبلة بالقبول وانكبوا عليه يدرسونه ويستنسخونه حتى اقتناه كل ذي دراية بالنحو.

منهجه في الكتاب: نثر الخلاصة سوى أولها وآخرها(المقدمة والتصريف)تناولهما بالشرح الوافي.

أما الاحمرار (توشيح ابن بونه) فقد خلله بالشرح.

واعتمد في شرحه على بعض الكتب ذكر منها : ابن الدماميني والخضري والأشموني والمكودي وشافي الغليل في شرح التسهيل للمختار بن انجبنان الحيبلي، وإن لم يصرح بذكره، والمواهب وابن هشام والصبان وابن عقيل والأزهري والشاطبي وشرح الفريدة للسيوطي.[١٣٧]

أما دافعه التأليفي فقد قال في مقدمة كتابه : "هذا وقد طلب مني بعض الأحباب أجزل الله لي ولهم الثواب المرة بعد المرة أن أضع له شرحا على نظم الشيخ المختار بن بونه للاحمرار فوفقني الله لما طلب مني وأخذت لذلك ما أمكن من شروح الألفية ضمنا، كما فعل ابن هشام في التوضيح، وبينت بعض شواهد النظمين وصرحت بشرح ألفاظ الألفية والتصريف"[١٣٨].

و لم يقف محمد عالي بن سعيد (مع) عند حد شرح الأبيات والتعليق على معانيها بل تجاوز ذلك مستدركا ومشيرا إلى مسائل أهملت، وأحيانا يعترض أقوال من سبقوه، وطورا يرفع التعارض المتوهم بين

---

١٣٤ - سلطان المغرب (١٨٦٣م - ١٩٣٧م) حكم ما بين (١٩٠٨م - ١٩١٢)، كان فقيها وأصوليا ونحويا بارعا، من مؤلفاته القول المختار في شرح جامع ابن بونه، والجواهر اللوامع في الأصول. راجع محمدن بن انجبوي تحقيق قواعد المعني اللبيب، مرجع سابق. ص ٢٥. وابن اباه، النحو العربي، ص ٤٢٢-٤٢٤.

١٣٥ - تاريخ النحو العربي ص ٥٠٣.

١٣٦ - أحد النحو عن عبد الودود بن عبد الله وأسس محظرة كبيرة تخرج منها جم غفير من العلماء راجع ترجمته في كتاب تنبيه الصغار للمؤلف نفسه تحقيق الجزء الثاني ص ٦ /١٩٩٥ والنحو العربي ص ٥٠٧ وابن البراء ص ٨٢.

١٣٧ - ابن البراء، مرجع سابق، ص ٨٢.

١٣٨ - مقدمة كتاب تنبيه الصغار.

wadod.org

الألفية والاحمرار. فمثلا حين يقول ابن بونه :

وافتح إذا أتتك مفعولا بلا تردد أو مبتدا أو فاعلا

فقد يقول قائل إن هذا يعارض قول ابن مالك :

واكسر في الابتدا وفي بدء الصله وحيث إن ليمين مكمله

يقول معي مؤكدا أن لا تعارض بين القولين: "إذا وقعت في الابتداء تكون داخلة في أول جملة مستقلة، وإذا وقعت مبتدأ تكون مع مؤوليها في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء محتاج إلى خبره".[١٣٩]

وقد يستدرك على صاحبه مسألة كان من الضروري ذكرها لكنه أهملها بالكلية، ففي معرض كلام ابن بونه على "لا" العاملة عمل "إن" قال :

وكررن لا إذا ما انفصلت عن اسمها أو كان ما تقدمت

يعلق معي قائلا : "ولم يذكر إهمالها مع المعرفة وهو متفق عليه"[١٤٠].

وقد ينبه على بعض الأمور التي وقعت حشوا، فلا يرى فائدة في ذكرها؛ من ذلك قول ابن بونه في احمراره :

والخبر المنفي بالا يقرن إن قصد الإيجاب

يقول معي معلقا: "قوله إن قصد الإيجاب مستغنى عنه، كقولنا يدخل شرط الاستفهام إن قصد الاستفهام"[١٤١].

وقد يناقش ابن بونه في بعض آرائه: فعند قول ابن بونه :

ومع ليس ذاع إسقاط الخبر إذ المراد مع سقوطه ظهر

يقول معي معلقاً : "فقد بان لك أن قوله إذ المراد مع سقوطه ظهر غير موافق لما قرر لأنه إن أراد القول بجواز حذف الخبر بقرينة في الأفعال كلها فلا وجه لخصوصية ليس وإن أراد القول بالتفصيل بالجواز في ليس فلا وجه لاشتراط ظهور المراد لأن القائل بذلك ابن مالك وهو يجوز حذف خبرهما اختيارا ولو بلا قرينة كما مر".[١٤٢]

وخلاصة القول أن هذا الكتاب ذو قيمة علمية عالية تدل على علو كعب صاحبه وتبوئه أعلى درجات سلم المعرفة في هذا القطر، يقول بعض تلامذته مقرظا هذا الكتاب :[١٤٣]

---

١٣٩ - التنبيه ص: ٨٠.

١٤٠ - التنبيه ص: ٨٦.

١٤١ - التنبيه ص: ٦٨.

١٤٢ - التنبيه ص: ٦٥.

١٤٣ - هو محمد الحسن ولد أمين العلوي رواية عن ا لأستاذ محمدي بن المصطفى أحد كبار تلاميذ العلامة اباه بن عبد الله بقرية الساعية.

wadod.org

أضفـــت إلى الصـــغار كتاب تبـــر صـــوابك أن تضيف إلى الـــكبـــار[١٤٤]

٤. - شرح الجامع لمحمد تقي الله الملقب محمد بوي بن الشيخ ماء العينين القلقمي[١٤٥] :

أما كتابه فقد سماه "تبيين ما يعنون من الألفية وابن بون".

ومنهجه في هذا الكتاب أن يشرح المسألة بما فيه الكفاية وينقل أقوال النحاة الأوائل، وما ذهب إليه أئمة النحو ثم يأتي بخلاصة يبين فيها مجمل القول وراجحه ومرجوحه.

وسنقدم هنا نموذجا من هذا الكتاب، من باب "إعراب الفعل". يقول[١٤٦] : «هذا باب إعراب الفعل المضارع: في ح - يعني به كتاب التصريح لخالد الأزهري- جزء ٢ ص٢٢٩. أجمع النحويون على أنه إذا تجرد من الناصب والجازم وسلم من نوني التوكيد والإناث كان مرفوعا كيقوم، وإلى رفعه عند التجرد من الناصب والجازم أشار بقوله :

ارفـــع مضـــارعـــا إذا يـــجرد مـــن نـــاصب وجـــازم كتســـعد

يعني أنك ترفع الفعل المضارع السالم من نوني التوكيد والإناث إلخ إذا كان مجردا من النواصب والجوازم الآتية، قال في هبة المالك: وإنما لم يقيد الناظم المضارع بالسلامة من نوني التوكيد والإناث لنصه على ذلك في باب المعرب والمبني حيث قال :

وأعربـوا مـضـارعـا إن عـربـا .....

من نـون توكيـد مباشر ومـن نـون إناث كـيرعن من فـتن

فاكتفى بذلك .

والحاصل أن المضارع يرفع إذا تجرد مما ذكر، وينصب إذا دخل عليه ناصب، ويجزم إذا دخل عليه جازم.

تنبيه : ما ذكر أي من رفع المضارع العاري مما ذكر مجمع عليه كما سبق، وإنما الخلاف في رافعه، فقيل هو التجرد من الناصب والجازم وهو رأي جماعة منهم الفراء، وفي "ح" أنه الأصح ، وذهب البصريون إلا أن رافعه وقوعه موقع الاسم كيضرب من قولك زيد يضرب، فإنه واقع موقع ضارب، ولذا إذا دخل عليه لم أو لن مثلا امتنع رفعه، لأن الاسم لا يقع بعدهما، ورد لانتقاضه بنحو: هلا تفعل وسوف تفعل، فإن المضارع فيهما مرفوع وليس واقعا موقع الاسم لأن الاسم لا يقع بعد حرف التحضيض ولا حرف التنفيس. وذهب ثعلب إلى أن رافعه نفس مضارعته الاسم في قبول لام الابتداء، ورد بأن ذلك لا يقتضي رفعا و لا غيره وإنما يقتضي مطلق الإعراب. وذهب الكسائي إلى أن رافعه حروف المضارعة، ورد

---

١٤٤ - راجع ابن البرا ص: ٨٢.

١٤٥ - عـالم جليـل له مؤلفات منها شرح مقصورة ابن دريد ونظم سراج الساري في سيرة والده وله كثير من التآليف في مختلف الفنون وله زاوية بالسمارة . ابن اباه ص: ٥١٠ وابن البرا ص: ٨٣.

١٤٦ -اعتمدنا في النموذج على ابن اباه، ص ٥١٠-٥١١.

wadod.org

يقتضي رفعا و لا غيره وإنما يقتضي مطلق الإعراب. وذهب الكسائي إلى أن رافعه حروف المضارعة، ورد بأنها كأجزائه وجزء الشيء لا يعمل فيه. فهذه أربعة أقوال، وإلى تصحيح الأول منها وتضعيف ما بعده أشار في الطرة عند قول الناظم: "ارفع مضارعا إذا يجرد" بقوله: بذلك التجريد وفاقا للفراء لا بوقوعه موقع الاسم كما قال البصريون، ورد بقولهم: هلا تفعل، ولا بنفس المضارعة كما قال ثعلب، ورد بأن ذلك لا يقتضي رفعا ولا غيره وإنما يقتضي إعرابا، ولا بحرف المضارعة خلافا للكسائي، ورد بأنها كجزئه.[١٤٧]

فانظر إلى جمعه لهذه الآراء كلها ضعيفها وراجحها ومردودها، تتبين مدى سعة اطلاعه ورسوخ قدمه في النحو. وقد علق الدكتور ابن اباه على كتابه قائلا: "والكتاب بديع في صنيعه جامع بين بيان الشكل وتوضيح الغامض واستعراض أقوال الأئمة وشرح الشواهد وإيراد المناسبة التي قيلت فيها، فكان كتاب نحو ولغة وأدب"[١٤٨].

٥. – إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والآثار لمحمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي (ت ١٣٢٣هـ)[١٤٩] :

أما كتابه إنارة الأفكار فقد أتى فيه بمائة وستين شاهدا بدأها بشواهد الترجمة "حديث كان رسول الله ﷺ إذا دعا بدأ بنفسه "[١٥٠]، وختمها بشواهد الإدغام؛ "وإن كان قصيرا فليتزر به ".[١٥١]

يقول في مقدمة كتابه : ألا إني رأيت إقبال الناس على شواهد النحو من الشعر ضبطا وشرحا وتركهم غيره، فشق علي ذلك الترك في القرآن والحديث، واعترتني لهما غيرة فهممت بهما ووعدت بعض الإخوان بذلك وعدا، ثم نظرت فإذا شواهد الآي كثيرة جدا وأنا في شغل عنها لم أجد عنه بدا، ولهما في إقليمنا حفاظ وحذاق، والحديث شواهده يسيرة وشروحه هنا نزيرة، ولا أعلم له حفاظا في القطر مع أنه يجب حفظه ومعرفة علومه وكذا تجب إقامته، ولذا يجب النحو واللغة على قارئه لأنهما وسيلة تقويمه، وفي الخبر: "إذا وعد أحدكم فلا يخلف"،[١٥٢] فأتيت بما تيسر لي في الأحاديث، وجر الكلام فيها إلى الكلام في الآثار

---

١٤٧ – راجع ابن اباه ص: ٥١٠ –٥١١.

١٤٨ – ابن اباه ص: ٥١٠.

١٤٩ – أشهر علماء عصره وأكثرهم تآليفا إلا أنه ضاعت جل مؤلفاته وأهمها : البشائر في تفسير القرآن الكريم وبصائر التالين لكتاب رب العالمين نظم وشرحه والقول السديد في وجوب التجويد ومطهرة القلوب من فترة ا لعيوب ومحارم اللسان وكفاف المبتدي في الفقه شرحه العلامة محمد الحسن بن أحمدو الخديم وطبع في المغرب بمطبعة النجاح. انظر ابن محم ص:٣٣.

١٥٠ – رواه السيوطي والطبراني عن أبي أيوب انظر الجامع ٢ /١٦٠ وشذرات الذهب ٨/٥١.

١٥١ – رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وأوله "قال فإن كان الثوب واسعا فالتحف به وإن كان ضيقا فاتزر به" رواه البحاري .إنارة الأفكار ص:١٠٩.

١٥٢ – صححه الزرقاني.

wadod.org

التي هي كلام الصحابة رضي الله عنهم وعلى غيرها من النثر وفي ذلك فائدتان: تمييز الحديث حتى لا يبقى ريب، وربما حسب الطالب غير الحديث حديثا، أو ظن الحديث غيره، وربما تردد في شاهد هل قرآن أو خبر أو غيرهما وأخذته حيرة. الثانية: شرح ما يحتاج إليه من ذلك والله أرجو أن يجعل ذلك سببا لنضارة وجهي وإنارة قلبي[١٥٣] .

لقد انتهج محمد مولود في كتابه المنهج الآتي: فقد أورد جميع شواهد الجامع من الحديث مرتبا إياها على تبويبه، وفي أثناء مناقشته للحديث يتعرض لأصله في كتب النحو ويعزوه أحيانا لكتب الحديث وخاصة صحيح البخاري، وربما اعتذر عن تخريجه بأن الكتاب الذي عزي له الحديث لم يحضره كما أنه يبين محل الاستشهاد منه، وربما نبه على أن بعض الأمثلة التي كثر ورودها في كتب النحو، من كلام العرب وليست من الأحاديث.

أما مراجعه فهي كتب الأحاديث وشروحها ومعاجم اللغة العربية وخصوصا القاموس، وقد رمز لبعضها في ثنايا كتابه دون أن يذكر ذلك في مقدمته ولعله جرى في ذلك على نسق من سبقه من المؤلفين الموريتانيين وغيرهم ولشيوع تلك الرموز عند العلماء حتى أصبحت شبه متواطئ عليها.

٦. - القول المختار في شرح الاحمرار للسلطان المولى عبد الحفيظ العلوي :

يكفي من شهرة كتاب ابن بونه وقيمته أن يتجاوز حدود القطر الموريتاني ويحظى بعناية علماء أجلاء، أحرى إن كانوا ملوكا يسيرون أمور الرعية ، فإنه من النادر أن نجد ملكا مشغولا بتدبير شؤون دولته وتثبيت أركان عرشه ينصرف للتأليف والتدوين مهما بلغ الموضوع من الأهمية ، فالملك قد يكون عالما ذا غور بعيد فيه، وقد يكون شاعرا مفلقا، لكن يندر بنا أن نجد ملكا تخصص في فن من فنون العلم حتى صار مرجعا فيه أحرى أن يشتغل بوضع المصنفات ذات الطابع الموسوعي .

وفي ملوك المغرب تكرر وجود هذا النوع، نذكر منهم على سبيل المثال مولاي عبد الحفيظ الذي له اليد الطولى في النحو فقد وضع فيه تأليفا سماه "القول ا لمختار على الألفية والاحمرار". فذكر ابن اباه في تاريخ النحو تحلية ناشر كتابه حيث وصفه بالفصاحة المتناهية والبلاغة السحبانية والأساليب القرشية إلى غير ذلك من أوصاف الفصاحة[١٥٤].

كما سرد ابن اباه مصنفاته النحوية ليستدل بها على أنه يعد في مصاف كبار العلماء النحويين، فذكر منها:

- نظم جمع الجوامع، المطبعة المولوية بفاس ١٣٢٢ هـ.
- نظم في البلاغة سماه نيل النجاح والفلاح من علم ما به القرآن لاح.

---

١٥٣ - مقدمة إنارة الأفكار ص: ٣٢ تحقيق عبد الله بن حيار ط: مطبعة النجاح بالدار البيضاء ١٩٩٥.

١٥٤ - تاريخ النحو العربي ص: ٤٢٢.

wadod.org

- نظم على مثال ملحة الإعراب.
- نظم التسهيل إلى غاية إعراب الفعل.
- نظم للمغني سماه بالسبك العجيب.

ويبدو لمتصفح كتاب مولاي احفيظ "القول المختار" أنه منحاز لمدرسة ابن مالك معجب بها أشد الإعجاب، فقد صرح بذلك في ثنايا كتابه ولم يمنعه ذلك من الاعتراض على بعض أقواله وتصويبها أحيانا، فقد ذكر ابن اباه نموذجا من ذلك[١٥٥]، كما أنه لم يخف إعجابه بابن بونه الذي وصفه بأنه العالم بكل فن أعطي مفاتيح العلوم واطلع على منطوقها والمفهوم[١٥٦]، كما يظهر أيضا تأثر مولاي احفيظ بالشناقطة حيث احتذى حذوهم في وضع مصنفاته وفي أنظامه مما يظهر إعجابه بهم.

٧. - عقل الشوارد لما في الطرة من الأبيات والشواهد لمحمدو ولد الغزالي الشقروي (ت ١٣٦٢هـ)[١٥٧]، وكتابه هذا كتاب فريد من نوعه، لم نر كتابا في فنه أحسن منه - بهذا القطر على قلة كتب شروح الشواهد - وإن كان لم يكمله فقد توفي قبل إكماله.

فهو يشرح الشاهد ذاكرا مكان الاستشهاد، ويعزو الشاهد لصاحبه إن كان معروفا، وإلا قال كما قال الشاعر، أو كما قال الأول، أو كما قال الجاهلي أو الإسلامي إلى غير ذلك من العبارات التي تدل على أنه غير عارف بصاحبه. وعلى العموم فإن كتابه فريد في نوعه، يدل على تمكن صاحبه وعلو كعبه في علوم اللغة والنحو، وإن لم يلتزم بمنهجية واضحة.

٨. - شـــــرح الجامع لعبد الرزاق بن سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن الفاضل (١٣١٤ - ١٣٦٢هـ)[١٥٨] :

وقد اتبع في كتابه هذا منهجية واضحة واعتنى بإبراز الأصح من الأقوال ومقابل الأصح، كما قام بشرح الشواهد معلقا على القائل، ذاكرا نبذة من أخباره، مفسرا مفردات الشاهد، كما سرد الخلاف النحوي مركزا على الخلاف بين المدرستين الكوفية والبصرية، مستشهدا بأنظام الموريتانيين عازيا في كل ذلك للمصادر التي استقى منها كالدماميني وروض الحرون وخزانة الأدب.[١٥٩]

---

١٥٥ - تاريخ النحو ص: ٤٢٦.

١٥٦ - ابن اباه، ص ٤٢٤.

١٥٧ - له عدة مولفات منها : تأليف في أنساب إداشغره (الشقرويين) وآخر في أهل بدر وشرح السفر من خليل. راجع المنارة والرباط ص: ٥٩٣ وولد محم ٣٣ وولد اباه ص:٥٤٢.

١٥٨ - له شرح جواهر اللقاني أخذ عن شيوخ بارزين منهم المختار بن محمدن ولد أحمد سالم ومحمدن باب بن داداه ومحمد بن أشفق عبد الله. راجع ابن محم ص: ٣٣ وابن البرا ص:٨٥.

١٥٩ - ابن البراء، ص ٦٥.

wadod.org

٩. - التيسير المبين على احمرار ابن بون؛ للقاضي محمدن بن محمذن فال بن أحمدو فال التندغي (١٣١٣ - ١٤٠٠ هـ)[١٦٠] :

وذكر أنه كان يعتمد على الدماميني والأشموني والصبان والتصريح وكتاب سيبويه والحضرمي والمغني والقاموس والتسهيل.[١٦١]

يقول في مقدمة كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم وبعد فلما كان توشيح ابن بون شيخ المشايخ على ألفية ابن مالك جامع لما لا يحصى أردت أن أضع عليه تعليقا ... وختم كتابه بقوله في آخره[١٦٢] :

الحمد لله على إكماله ثم على محمد وآله

١٠. - فرائد الفوائد من نحو ناوي سلم المقاصد؛ لسيدي محمد بن عبد الرحمن العلوي[١٦٣] :

وهذه مقدمة هذا الشرح : بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على من رفع بماضي العزم قواعد الإيمان وخفض بعامل الجزم كلمة البهتان محمد المنتخب من خلاصة معد ولباب عدنان وعلى آله وأصحابه اللذين أحرزوا قصبات السبق في مضمر الإحسان وأبرزوا ضمائر القصد والشان بسنان اللسان ولسان السنان وعلى أزواجه وذريته ومن تبعهم بإحسان. أما بعد فيقول أسير الشهوات وكثير المساوي والهفوات الفقير إلى مولاه الغني به عن من سواه الراجي من ربه إصلاح الغفران سيدي محمد بن عبد الرحمن المالكي الأشعري أحسن الله عمله وبلغه في الدارين أمله: هذا شرح مختصر على نظم المختار بن بونه وألفية ابن مالك مهذب المقاصد واضح المسالك معترفا أن ليس لي فيه إلا النسخ والترتيب وأنني فيهما بين خوف التخطئة ورجاء الصواب ....وأشير بما صورته (مخ) إلى المختار بن بونه وأعبر عن الآخر بالناظم:

سميته فرائد الفوائد من نحو ناوي سلم المقاصد[١٦٤]

١١. - تسجيل التكرار بشرح الاحمرار : وهو موضوع أطروحتنا لدكتوراه الدولة وسنفصل فيه القول أكثر، نظراً لكونه كان موضوع أطروحتنا وقد رأينا أن نقدم عنه عرضاً يتناول مضمون مادته، وآراء صاحبه.

سنتناول في هذا العرض - بعد التعريف بالكتاب - مضامين تسجيل التكرار، متعرضين لما قام به الرجل من تمحيص للمادة النحوية وتعميق لمباحثها، وقد أدرجنا ضمن هذا النقطة عدة مسائل

---

١٦٠ - عالم جليل له مؤلفات كثيرة جدا في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأصولية والبيانية والشمائل والتفسير وغير ذلك ومدرس ذاع صيته كل الأقطار حتى أتاه الناس من كل حدب وصوب ينهلون من معارفه ويتفعون من سلوكه وأخلاقه فقد كان مضرب المثل في كرم الأخلاق وحسن السيرة. راجع ابن محم ص: ٣٣ وابن البراء ص:٨٦.

١٦١ - المرجع السابق، ص ٨٦.

١٦٢ - نفس المرجع ونفس الصفحة.

١٦٣ - ابن البراء ص: ٨٤ وذكر أن نسخة مخطوطة منه توجد في مكتبة أهل اباه كما ذكره ابن محم ص: ٣٣.

١٦٤ - راجع ابن البراء ص:٨٤.

wadod.org

منها: سعي المؤلف إلى الربط بين أبيات الاحمرار وأبيات الخلاصة دون أن نهمل تنبيهاته على بعض الأوهام، وتصحيحاته وتصويباته واعتراضاته وترجيحاته وتعقيباته، واقفين قليلا عند إيضاحه بعض الأبيات الغامضة، منتهين إلى شواهد الكتاب.

ونلفت الانتباه إلى أننا رجعنا في بعض هذه المسائل - إكمالا للفائدة وتوسعا في الموضوع - إلى بعض دروس المؤلف، ولا شك أن هذه الدروس ليست من نص تسجيل التكرار، لكنها وثيقة الصلة به، فقد لبث المؤلف عقودا من الزمن يتعهد الطرة والاحمرار بالتدريس، مستأنسا بكتاب "تسجيل التكرار"، وفي معظم حصصه الدراسية تتجدد له آراء ومواقف، فيسجلها عنه بعض طلبته في دفاتر خاصة أعدوها لذلك.

ونحن لا نرى غضاضة في اعتماد هذه الدروس والاستفادة منها نظرا لكونها تكملة واستقصاء لمسائل الطرة والاحمرار، بل توسعة واستكمالا لمادة تسجيل التكرار.

ويجدر بنا قبل البدء في الحديث عن مضامين تسجيل التكرار، أن نفك رموز هذا العنوان ونستجلي غوامضه، إذ يبدو في ظاهر دلالته وصياغة لفظه طلسما ولغزا يتحتم حله، فظاهر هذه الألفاظ لا يحيل بالضرورة إلى كتاب في النحو والصرف، فالقارئ لهذا العنوان لا جرم يذهب وهله إلى مادة أخرى قد لا تمت للنحو بصلة، فما هي علاقة هذا الدال "تسجيل التكرار بشرح الاحمرار" بالمدلول الذي هو شرح زيادات ابن بونه على الخلاصة.

التقديم المادي لتسجيل التكرار :

إن كتاب تسجيل التكرار كما يدل عليه العنوان يتركب من أربعة مصادر متضايفة مثنى مثنى، وهذا العنوان بمصادره الأربعة يحيل إلى اصطلاحات المحظرة، فلا يتأتى لغير الطالب المحظري فهم مدلولات هذه التسمية، وإن كانت الدوال في ظاهر لفظها عربية فصيحة. فالتسجيل: هو التقييد والكتابة والتصوير والحفظ، والتكرار: مصدر كرر الذي يعني الإعادة مرة بعد مرة لغاية الحفظ والضبط التام، والشرح واضح الدلالة والمدلول، أما الاحمرار: فهو في اصطلاحهم الإضافات والزيادات على الأصل، إذ يسمون كل أصل اكحلالا وكل فرع احمرارا، فالاكحلال هو ألفية ابن مالك ويكتبونها بالأسود، وإضافات ابن بونه التي زاد عليها يكتبونها بالأحمر تمييزا لها عن نص ابن مالك، وكذلك فعلوا في لامية الأفعال واحمرار الحسن بن زين عليها، وهو عرف متواطؤ عليه ومعروف في كل المحاظر، أما الباء الفاصلة بين شقي العنوان فهي للاستعانة.

فالمؤلف إذًا يريد أن يسجل تكرار الدروس ومراجعتها قصد الاستعانة بها على شرح إضافات ابن بونه (الاحمرار) على الخلاصة.

التقديم المضموني لتسجيل التكرار :

يشتمل كتاب تسجيل التكرار على (٥٤) بابا موزعة على (٤٠) فصلا توزيعا لا يخضع لضابط، فتارة يكون الباب خاليا من الفصول كأبواب : الكلام والمبني وأبواب النيابة، و... وهذا هو الغالب. وتارة

wadod.org

يكون تحت الباب فصل واحد كأبواب : تثنية المقصور والممدود، وباب جمع التكسير، وباب النسب وباب الوقف... وأحيانا يكون تحت الباب عدة فصول كأبواب : الضمائر وباب أدوات الاستفهام والإخبار بالذي وفروعها... أما توزيع هذه الأبواب والفصول على الكتاب المخطوط فعلى النحو التالي :

- المجلد الأول : يضم (١٩) تسعة عشر بابا؛ من "باب الكلام وما يتألف منه" إلى "باب أعلم وأرى" وهو الباب التاسع عشر.
- المجلد الثاني : يضم (٣٥) خمسة وثلاثين بابا؛ من باب "الإضافة" وهو الباب العشرون إلى باب "الادغام" وهو الباب الرابع والخمسون.

وكتاب تسجيل التكرار كما هو واضح من عنوانه كتاب يروم شرح احمرار ابن بونه متتبعا أبياته البالغ عددها ثلاثمائة وألفا (١٣٠٠) بيت، بشيء من الدقة والتفصيل يرمي من ورائه إلى تقييد المطلق وتوضيح الغامض ورصد المقيس المسموع، والتنبيه على المطرد المستعمل، غير مهمل الإشارة إلى النادر من اللغات والشاذ من الاستعمالات، فهو بذلك كتاب موسوعي غير ذي حشو ولا استطراد. ولم يكن الشارح يمهد لأبوابه بمقدمات، وإنما كان يمتطي صهوة المتن غير مبردع مستخدما عبارة "يعني".

أما مراجع المؤلف فيمكن تتبعها في ثنايا النص، إذ يلاحظ أنه قد عب من ينابيع الموروث النحوي واستنطق رفوفه وعايش موروث أئمة النحو حتى ظهر ذلك جليا في ثنايا كتابه.

فهو حين يتناول المسألة يأتي فيها بآراء الخليل وسيبويه والمبرد والكسائي والأخفش الأوسط من نحاة المشرق، معرجا على أقوال ابن مالك وأبي حيان والشلوبين من المغرب مستأنسا بآراء البصريين أمثال : الصبان والأشموني وخالد الأزهري وابن هشام، مكملا ما فات هؤلاء بآراء الطرة والمواهب من كتب هذا القطر.

مع أنه يصرح في مقدمة كتابه أن ليس بحوزته من المراجع إلا التسهيل ونبذ من اختصار ابن حبت، يقول في المقدمة : "وبعد فهذا تعليق كتبته في حال استعجال واشتغال بال على احمرار الشيخ المختار بن بونه الجكني رحمه الله تعالى الذي وشح به خلاصة محمد بن مالك، ومسائله مأخوذة من تسهيل الفوائد إلا ما ندر، ولم يكن بيدي في الحال من شروح الاحمرار إلا نبذ من اختصار الشيخ بن حبت لشرح والده الشيخ سيدي محمد بن حبت المسمى بالمواهب على جامع ابن بونه".[١٦٥]

لكن رغم ذلك كله فآراء النحاة أجمعها ماثلة أمامه قريبة المتناول، يأخذ منها معللا ومرجحا ومستشهدا ومصححا، أو موهنا مضعفا.

فجاء كتابه مشحونا بآراء من سبقوه من نحاة الرعيل الأول، واستدراكات الجيل الثاني، واستنباطات المتأخرين.

---

١٦٥ - انظر الصفحة الأولى من النص المحقق.

wadod.org

بعد أن قدمنا تسجيل التكرار تقديما موجزا نخلص إلى مضامينه ونغوص إلى أعماقه متناولين مسائله ضمن عناوين جزئية نرتبها فيما يلي :

١- الربط بين الاحمرار والتسهيل والخلاصة :

فالمؤلف يحرص كل الحرص على أن يربط بين أبيات الاحمرار والخلاصة من جهة وبينها وبين مسائل التسهيل وآراء ابن بونه من جهة ثانية، متعقبا كل ما رآه من تناقض أو تعارض أو تخالف بين هذه الآراء، فكل ما رأى ابن بونه خالف رأي الجمهور أو آراء كبار النحويين تعقب ذلك وأشار لشطر الخلاف الآخر، موفقا بين الآراء إن رأى وجه توفيق، أو مرجحا لرأي على آخر، أو موهنا لبعض الأقوال، كل ذلك مراعاة للدقة، وتحريا للصدق والأمانة في عزو الأقوال.

ونسوق الأمثلة التالية توضيحا لذلك : فعند قول ابن بونه في باب "كان"[١٦٦] :

ومع ليس ذاع إسقاط الخبر إذ المراد مع سقوطه ظهر

قال الشارح معلقا : وتختص ليس بكثرة مجيء اسمها نكرة محضة نحو : ليس أحد قائما مع تنكير خبرها، ثم أضاف : وإنما اشترط هذا الشرط هنا لئلا يكون تكرارا مع قوله :

..... ويقع هنا وفي أن معرفا خبر[١٦٧]

كما يحرص في أحيان كثيرة على أن يبين المسائل التي ليست من التسهيل، إذ أن جل مسائل الاحمرار نظمت منه، فإن كانت المسألة من غيره نبه على ذلك، مثال ذلك في قول ابن بونه في عطف النسق[١٦٨] :

وفصلوا بينهما بالقسم نحو اقدرن ثم بربك احلم

قال الشارح : وهذه المسألة - وهي الفصل بالقسم - ليست من مسائل التسهيل وإنما استدركها عليه شراحه.[١٦٩]

وقال ابن بونه في إعراب الفعل في الكلام على زيادة أن[١٧٠] :

وهكذا بعد إذا وقبل لا جواب الاستعطاف وهو أهلا

قال الشارح : وهذه المسألة - أي زيادة أن بعد إذا الفجائية - ليست من مسائل التسهيل.[١٧١]

كما أن ابن بونه إن أطلق حكما في مسألة، وكان هناك استثناء لم ينبه عليه في محله، أوضح الشارح المستثنى والمستثنى منه مع التعليل، ومن أمثلة ذلك قول ابن بونه في باب التسمية بلفظ كائن ما كان[١٧٢] :

---

١٦٦ - انظر الصفحة ٢٦٢ من الجزء الأول من النص المحقق.

١٦٧ - نفس المرجع ونفس الصفحة.

١٦٨ - أنظر الصفحة ٤١ من الجزء الثاني من النص المحقق

١٦٩ - المصدر السابق نفس الصفحة.

١٧٠ - انظر ٨٦/٢ من النص المحقق.

١٧١ - انظر المصدر السابق نفس الصفحة.

١٧٢ - انظر ٧٨/٢ من النص المحقق.

wadod.org

وأسلمت وأسلموا ويسلمان أجز كمسلمة أو كمسلمان

قال الشارح : وكان هذا استثناء مما كنا قد قدمناه أن ما سمي به من حرف وفعل لا يتغير عما كان قبل التسمية، يعني قوله سابقا :

لما به سمي مما صحبا إعمالا أو إتباعا أو ما ركبا

ما قبلها كان له[١٧٣] ....

كما يعترض على ابن بونه إن أدرج مسألة تحت باب ليست منه، مثال ذلك قول ابن بونه في الباب نفسه، مشيرا إلى أن أسماء الحروف ليست أعلاما عليها حتى تدخل في الباب[١٧٤] :

.....وما ذكر من اسم حرف فهو موقوفا يقر

قال الشارح في بعض دروسه : إن هذا غير داخل في الترجمة إذ ليس من باب التسمية.[١٧٥]

وربما ربط بيت ابن بونه ببيت الخلاصة لتبيين العلاقة العضوية بينهما، مثال ذلك في قول ابن مالك في باب الوقف[١٧٦] :

وهذه الهاءَ صلنَّ إن تقف بآخر المبني إن كان ألف

قال الشارح : هذا البيت استثناء من مفهوم قول الخلاصة :

ووصل ذي الهاء أجز بكلما حرك تحريك بناء لزما

لأن مفهومه أن الساكن لا تتصل به.[١٧٧]

وقد يبين أن المسألة تقدم حكمها مجملا مع بعض نظائرها، مشيرا للبيت الذي ذكرت فيه، مثال ذلك في قول ابن بونه في الإبدال[١٧٨] :

وهمزوا كذاك ياء كسرت من بين ياً وألف قد شددت

قال الشارح معلقا : كأن تنسب إلى راية فتقول رائي بإبدال الياء همزة، ثم أردف قائلا وقد تقدم هذا عند قوله :

..... في نحو غاية ثلاث أوجه[١٧٩]

---

١٧٣ - انظر ٢/٧٣ من النص المحقق.

١٧٤ - انظر ٢/٧٩ من النص المحقق.

١٧٥ - دفتر دروس من إعداد الطالب المحظري عرفات.(مخطوط بحوزتنا)

١٧٦ - هذا البيت موجود في بعض نسخ الألفية كما في الصبان ٣/٢١٧ و لم يشرحه الأشموني بل جعله من الكتابة.

١٧٧ - انظر ٢/١٩٢ من النص المحقق.

١٧٨ - انظر ٢/٢١٦ من النص المحقق.

١٧٩ - المصدر السابق نفس الصفحة.

wadod.org

وقد يطلق ابن مالك في بعض أحكامه، ثم يذكر ابن بونه بعده تخصيص تلك الأحكام، من ذلك قول ابن بونه في أفعل التفضيل [١٨٠] :

وفصله بلو وما بها وصل مستعمل كذاك ما فيه عمل

قال الشارح : هذا البيت تقييد لقول الخلاصة :

وأفعل التفضيل صله ..... أبدا [١٨١]

ومن ذلك أيضا قول ابن بونه في الباب نفسه موضحا أن اسم التفضيل إن قصد به التفضيل منعت المطابقة وإن لم يقصد جازت :

وكلما منه أتى كذلك طابق ما تلا لدى ابن مالك

قال الشارح : كأن هذا البيت تقييد لقول الخلاصة :

وإن لمنكور يضف..... .....

أي إن قصد التفضيل لا إن لم يقصد.[١٨٢]

ومن ذلك قول ابن بونه في آخر باب "إن" [١٨٣]:

وإن يك الخبر فعلا فافصلا بلم وقد كما بأن قد فعلا

قال الشارح : "كما بأن قد فعلا" أي كالفصل الذي فعل بأن لقول الخلاصة :

فالأحسن الفصل بقد أو نفي ....

وذلك لأنها محمولة عليها في عملها وللفرق بينها وبين أن الناصبة للمضارع الداخلة عليها كاف الجر.[١٨٤]

ب – تنبيهاته وتصويباته :

وقد اتخذت هذه التنبيهات والتصويبات أشكالا مختلفة، فتارة تكون على شكل ملاحظة تبين أن العبارة التي عبر بها الناظم ليست دقيقة أو ملبسة أو موهمة...، من ذلك قول ابن بونه في الإضافة [١٨٥] :

للفعل إن ثبت وهو منصرف أضف لدن ريثا.....

قال الشارح : قوله : "للفعل" فيه مسامحة، وتبع فيه التسهيل لأن الإضافة إلى الجملة لا إلى الفعل.[١٨٦]

---

١٨٠ – انظر الصفحة ٣٥٧/١ من النص المحقق.

١٨١ – المصدر السابق نفس الصفحة.

١٨٢ – المصدر السابق الصفحة ٣٦٠.

١٨٣ – المصدر السابق الصفحة ٢٩٠.

١٨٤ – المصدر السابق الصفحة ٢٩١.

١٨٥ – المصدر السابق الصفحة ٣٢٧.

١٨٦ – المصدر السابق الصفحة ٣٢٨.

wadod.org

ومن ذلك أيضا قول ابن بونه في الباب نفسه[١٨٧] :

وجـــوز أن تضـــاف ذو إلى العلـــــــم .....

قال في بعض دروسه : إن التعبير بيجوز ليس دقيقا، إذ المتبادر منه القياس مع أن المسألة مقصورة على السماع.[١٨٨]

د - الاعتراضات على ما في الطرة :

والطرة تعني في الاصطلاح المحظري كتاب "الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة" الذي ألفه ابن بونه في شرح ألفية ابن مالك واحمراره هو، فكل ما أتى به من شروح وزيادات نثرية سواء من نص التسهيل أو غيره من كتب النحو، يسمى في عرفهم بالطرة، والطرة تعني في الأصل الحاشية والزيادة والهامش والتعليق.

وقد لخصنا جملة من الملاحظات سميناها : بالاعتراضات على الطرة. وهي عبارة عن ملاحظات أو استدراكات، أو توجيهات لأقوال، أو تقييدات لإطلاقات أو تخصيص لعموميات... إلخ

وقد سقنا جملة من هذه الملاحظات لأن الجامع بين التسهيل والخلاصة هو الكتاب الذي كان ثمرة لجهود كثيرة، جمع فيه ابن بونه حصيلة كثير من المؤلفات النحوية، وبقي بعد مؤلفه بأيدي كبار تلامذته من أئمة النحو، وشيوخه بهذا البلد، وأصبح موسوعة نحوية يرجع إليها النحاة في كل المدارس، فكان لا بد من غربلة هذه الأقوال وتصحيحها وتنقيحها لكثرة ما أضاف لها الشيوخ والطلبة من الأقوال والأنظام غير المصححة. مما حمل الشارح على أن يسوق جملة من الملاحظات توخيا لتصحيح هذا المتن مما قد لصق به من أقوال ضعيفة وآراء لم تستند إلى قول من يعتد برأيه، ولا عززتها شواهد عربية فصيحة، وقد يحكي ابن بونه الاتفاق في مسألة فيها خلاف، أو يرجح قولا ضعيفا، أو يطلق في موضع التقييد، أو يخصص من غير مسوغ...

وقد اتخذت هذه الاعتراضات أشكالا مختلفة نبينها فيما يلي :

فبعد أن يسوق الشارح تعليق الطرة بنصه يتعقبه مسلما لما يراه صوابا، ومبينا وجه الاعتراض مصرحا بمن قال بخلاف ما ذهب إليه ابن بونه، مثال ذلك في قول ابن بونه في الموصول الحرفي[١٨٩]:

وذاك أن والـــوصـــل فعـــل صـــرفـــا وكي بما ضـــارع والـــلام قـــــفا

قال في الطرة : "ماضيا كان أو مضارعا اتفاقا"؛ قال الشارح : أما بالمضارع فمجمع عليه، وأما حكاية الاتفاق بالماضي ففيها نظر، لأن ابن طاهر مخالف فيها، مدعيا أن الموصولة بالماضي ليست الموصولة

---

١٨٧ - المصدر السابق الصفحة ٣٢٥.

١٨٨ - دروس عرفات (مخطوط بحوزتنا)

١٨٩ - انظر ١٩٦/١ من النص المحقق.

wadod.org

بالمضارع.[١٩٠]

و – شواهد الكتاب :

للشواهد أهمية كبيرة في كتب النحو، فلا تكاد تجد كتاب نحو إلا وهو غاص بالشواهد، إذ لا يستطرد النحوي مسألة، ولا يذكر قاعدة إلا وعززها بالقول الفصيح، من قرآن كريم وأحاديث نبوية شريفة وأشعار العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ثم في العصور اللاحقة كالعصر الأموي والعباسي وحتى الأندلسي، وعصر الطوائف، إلا أن ما كان من الأشعار في الجاهلية وصدر الإسلام فهي شواهد يحتج بها، وما كان بعد ذلك أمثلة يستأنس بها، غير أنها ليست بحجة، إذ أنها لم ترق لدرجة أن تكون قاعدة تحتذى وشاهدا يروى، فهي تعزز القاعدة لكن لا يبنى عليها سماع ولا قياس، وإن سمع منها ما يناقض القاعدة أو يعارض السماع سمي شاذا، أو من غير الغالب أو النادر أو غير الفصيح...

وقد تعددت شواهد تسجيل التكرار وشملت :

– القرآن الكريم، وشواهده كثيرة جدا، إذ لا يكاد يشرع في المسألة إلا وعززها بآية أو آيات تشهد لها، وقل أن تجد صفحة إلا وفيها شاهد من القرآن الكريم، وقد تكثر إلى درجة أن تكون الصفحة فيها أزيد من عشر آيات.

– الأحاديث والآثار : وقد أربت على ستين شاهدا، من باب الكلام إلى نهاية الكتاب، ولم يكثر منها المؤلف، ولعل ذلك راجع إلى أنه يرى أنها ربما تروى بالمعنى، وهو ما جعل كثيرا من العلماء يعرض عن الاستشهاد بها تأثما ولكون أهل البدع أكثروا من الاستشهاد بأحاديث موضوعة تقوية لحججهم.

– الشواهد الشعرية : وتقع في المرتبة الثانية من حيث الكم بعد القرآن الكريم، وقد استشهد بالشعر العربي على مر العصور مكثرا من القديم منه، غير مهمل الاستشهاد بأشعار المولدين من مشارقة ومغاربة، وقد بلغت الشواهد الشعرية تسعمائة وستة أبيات (٩٠٦) موزعة على النحو التالي :

* الربع الأول : أربعة وخمسون وثلاثمائة شاهد (٣٥٤) حققها الأستاذ / الإمام بن عمر في رسالة تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة ١٩٨٩م.

* الربع الثاني : ثلاث وخمسون ومائتا شاهد (٢٥٣)، حققها الأستاذ / عبد الله بن الشيخ نفس السنة بنفس المعهد.

* الربعان الثالث والرابع : وعدد شواهدهما تسعة وتسعون ومائتا شاهد (٢٩٩) حققها الأستاذ محمد سعيد بن إسلم بن فتى سنة ١٩٩٠م بالمعهد العالي كذلك.

---

١٩٠ – انظر ١/١٩٧ من النص المحقق.

wadod.org

- مواقف الرجل وآراؤه:

وقد اعتمدنا في مسائل هذا الفصل على دروس المؤلف التي يحشي بها الطلبة احمرار ابن بونه على الألفية، وهي دروس بالغة الأهمية، لذلك اعتبرناها امتدادا واستكمالا لمادة تسجيل التكرار، وقد أشرنا إليها سلفا (فاتحة الفصل الرابع).

وقد تحدثنا في هذا الفصل عن كل ما يبدو فيه رأي للمؤلف مستقل، سواء كان بصيغة الاستظهار (كيظهر لي، والأظهر، والظاهر، أو لا يظهر لي .. إلخ)، أو الرأي (أرى، والذي عندي، ويتبين لي وإن لم أر من نبه عليه ...)، أو بصيغة التوجيه والتعليل (لعل وجه هذا وإن لم أعرفه منصوصا، هذا ما يظهر لي في تعليله وإن لم يعللوه، لعل وجهه وإن لم أرهم صرحوا به، ولعل وجه ذلك ... إلخ)، أو بصيغة التعقيب والاستدراك (فلنا أن نستدرك عليه، إني أسلم ما ذهب إليه إلا قوله، هكذا قالوا لكن عندي أنه، ليس البيت شاهدا صريحا لاحتمال ...، وفيه نظر إذ قد، أو قلت ...، وليس كذلك، وفيه تسامح، وعلى هذا يبطل)، أو بصيغة الترجيح والتصحيح (والصحيح، والحق، وأولى عندي منه، والأظهر، وهذا مما يدل على القول الأصح، وهي حجة ظاهرة، وقوله وإن ضعفوه أظهر ... إلخ).

وبذلك فإن هذا الشرح قد تنوعت به مصطلحات التأصيل النحوي، فزيادة على المصطلحات السابقة قد يعتمد مصطلح القول : "قلت"، وربما اكتفى بطرح الأسئلة، دون أن ينسى الألغاز النحوية، مقدما للطلبة تمارين تشحذ الذهن وتروض الفكر، ففي باب المبني يقول: "أما ما بني من الأسماء على السكون ففيه سؤال واحد: لم بني؟، وما بني منها على الحركة فيه ثلاثة أسئلة: لم بني ؟ ولم حرك؟ ولم كانت حركته كذا؟، وما بني من الحروف والأفعال على السكون لا يسأل عنه، وما بني منها على الحركة فيه سؤالان: لم حرك؟ ولم كانت حركته كذا؟"[١٩١]

فيظهر أن قصده من هذه الأسئلة التمرين، وإلا لكان أجاب عنها حين طرح السؤال.

كما يتضمن الشرح بعض الألغاز النحوية التي تدل على جانب من الترف النحوي والإحاطة بشوارد اللغة إحاطة غير قليلة، من ذلك قوله عند شرح معاني كاد[١٩٢]:

وأثبتن كاد إذا ما أثبتت على الأصح وانفها إن نفيت

فقد علق على هذا البيت بقوله: "على الأصح مقابله أن نفيها إثبات وإثباتها نفي حتى نظمه لغزا، فقال"[١٩٣]:

---

١٩١ - انظر ١/١٣٥ من النص المحقق.

١٩٢ - المرجع السابق، ص: ٢٧٦.

١٩٣ - المرجع السابق، ص ٢٧٦.

wadod.org

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة جرت في لساني جرهم وثمود
إذا استعملت في صورة النفي أثبتت وإن أثبتت قامت مقام الجحود

وأجابه الشهاب الحجازي بقوله :

لقد كاد هذا اللغز يصدأ فكرتي وما كدت منه أشتفي بورود
فهذا جواب ترتضيه أولو النهى ومتنع عن فهم كل بليد

ب – توجيهاته وتعليلاته:

وربما أطلق ابن بونه المنع في مسألة، مستثنيا منها ما ورد به السماع، فيتعقبه الشارح بجواز نظائر لها، مستأنسا بالسماع وآراء الأصوليين في القياس الصوري، مثال ذلك في قول ابن بونه في الظرف[١٩٤] :

ولم يضف شهر لدى الجميع إلا لذي القرآن والربيع

فتعقب المؤلف بالقول بجواز إضافة لفظ شهر إلى ما أوله راء خاصة، ثم أردف معللا : لعل وجه هذا القول السماع، أو قياس الشبه المذكور في فن الأصول، كتحريم أكل لحم الخيل حملا على الحمير لشبهها بها في الصورة.[١٩٥]

وقد يحمل ابن بونه في حكم الجمع المسند إلى معموله، ناقلا بعض الأوجه النادرة، فيتعقب الشارح مفرقا بين حكم جمع السلامة وبين جمع التكسير، مثال ذلك في قول ابن بونه في باب النعت[١٩٦] :

كسْرُه مسندا لجمع ونقل هند الحسين الوجه أهوى ويقل

قال الشارح متعقبا مبينا جواز التكسير في هذه المسألة دون التصحيح، إذ الوصف المجموع جمع سلامة لم يزل شبهه بالفعل لبقاء هيئته، والفعل إذا أسند لجمع تجرد من اللواحق إلا على لغة أكلوني البراغيث، فلهذا لم يجز جاء رجال قائمون آباؤهم، وكما لم يجز جاء رجال يقومون آباؤهم إلا على تلك اللغة بخلاف الوصف المكسر فهو لتغير هيئته بعُد شبهه من الفعل، فلم يجز على حكمه، قال : هذا ما يظهر لي وإن لم أعرفه منصوصا.[١٩٧]

ج – التعقيب والاستدراك :

وأحيانا يحكم ابن بونه بحذف بعض الحروف المدغمة، الزائدة لغير معنى تجنبا للثقل، فيتوسع الشارح في إيضاح هذا الحكم مبينا مفهومه ومنطوقه، ناقلا رأي الدماميني وابن حبت الشنقيطي متعقبا قول هذا الأخير، منتهيا إلى رفع اللبس وإزالة الغموض، مثال ذلك في قول ابن بونه في باب الإبدال[١٩٨] :

---

١٩٤ – طرة ابن بونه (مخطوط).

١٩٥ – دروس عرفات (مخطوط بحوزتنا).

١٩٦ – النص المحقق ٢/٥.

١٩٧ – دروس عرفات (مخطوط بحوزتنا).

١٩٨ – انظر ٢/٢٢٧ من النص المحقق.

wadod.org

يا ثالثا لغير معنى مدغما من قبل مدغما أزله فاعلما

قال الشارح متعقبا ومستدركا : "واحترز بقوله لغير معنى من أن تكون الياء الثالثة زائدة لمعنى، كقولهم في تصغير قصي قصيي، فتدغم ياء التصغير في لام الكلمة ولا تحذف لأنها جاءت لمعنى متجدد هو التصغير، هكذا في الدماميني. قال في المواهب : وما ذكره هنا مخالف لما عليه أئمة اللغة من أن إحدى الياءين في قصوي تحذف. قال الشارح بعد هذا موضحا رأيه حول كلام صاحب المواهب : ومن تأمل علم أن "قال" في المواهب هنا غير وارد؛ وأضاف موضحا المسألة :إنه قد سبق إلى وهم صاحب المواهب أن النسبة طارئة على التصغير؛ وليس الأمر كذلك بل التصغير هو الطارئ على النسبة".[١٩٩]

وتارة يعدد ابن بونه المسائل التي يعمل فيها عامل المنادى مهملا بعضها، فيأتي الشارح ليستدرك عليه وعلى سلفه النحوي (ابن هشام) بعض المسائل، مثال ذلك في قول ابن بونه في باب النداء[٢٠٠]:

في الظرف والمصدر والحال عمل عامله وقيل في الحال حظل

قال الشارح في بعض دروسه : إن ابن هشام حصر مواضع وجوب حذف العامل في المصدر لنيابته عنه في عشرة قائلا بعد سردها : تلك عشرة كاملة. وأضاف قائلا : فلنا أن نستدرك عليه هذا الموضع؛ فعامل المصدر في قوله :

يا هند دعوة صب هائم دنف مُنّي بلطف وإلا مات أو كربا

واجب الحذف لأنه عامل المنادى؛ ثم أضاف الشارح في دروسه قائلا : وهذا البيت أدل دليل على أن العامل في المنادى أدعو محذوفة للتصريح فيه بمصدرها.[٢٠١]

د – الترجيح والتصحيح :

وتارة يتحدث ابن بونه عن حكم إضافة المعتبر إلى الملغى أو العكس، منشدا على هذا الأخير شاهدا، فيتعقب الشارح هذا الشاهد معللا وجه الإلغاء، منتهيا إلى أن الأصح كون إضافة المعتبر إلى الملغى فيها تكرار وحشو، مثال ذلك في قول ابن بونه في باب الإضافة[٢٠٢]:

إضافة الملغى إلى ما اعتبرا والعكس هكذا اعتبر ما اعتبرا

واستشهد للعكس بقول الشاعر:

أقام ببغداد العراق وشوقه لأهل دمشق الشام شوق مبرح

---

١٩٩ – المصدر السابق نفس الصفحة.

٢٠٠ – انظر ٤٧/٢ من النص المحقق.

٢٠١ – دروس عرفات (مخطوط بحوزتنا).

٢٠٢ – انظر ٣١٦/١ من النص المحقق.

wadod.org

قال الشارح: قيل إن وجه الإلغاء في هذا البيت أن العراق حيث أطلق فالمراد به بغداد، فيكون لا فائدة في إضافتها إليه، لأنها هو في الإطلاق، والصحيح أن وجه إلغائه كون إضافتها إليه لا مفهوم لها، إذ لا تعلم بغداد سوى بغداد العراق.[٢٠٣]

خـــاتمـــــة:

بعد عرض ما أمكننا تقديمه من شروح الاحمرار لنا أن نتساءل عن قيمة موروث القوم النحوي منذ احتضنته القبلة وليداً، وتربى في أحضانها، وتلقته مدارسها، وتعهدته شيوخها، من جيل ابن تكدي ومن عاصره، حتى شبّ وترعرع وحبا وئيداً، وناهز الفتاء مع عصر ابن الأعمش وابنجنان ومحمد اليدالي.. واستوى على سوقه وبلغ إناه على أيدي ابن بونة وتلامذته أمثال: حرمه بن عبد الجليل وبلا الشقروي وعبد الودود بن عبد الله وغيرهم..

فهل كان نحو الشناقطة استنساخاً واجتراراً لمذهب ابن مالك وسلفه، أم لهذا القطر سمات وخصائص ميزته عن الأنحاء الأخرى في مختلف العصور؟

وهل بدأ هؤلاء من حيث انتهى سلفهم، فكان عطاؤهم امتداداً وحصاداً لبذر سلفهم، أم أن سفينتهم كانت تروح وتغدو لا تتجاوز نقطة البدء.

لا جرم أن النحو ظل في مراحله الأولى إعادة وتكراراً لسنة النحو أيام الخليل وسيبويه والكسائي.. فلا يعدو المؤلف أن يتعرض للمسألة ذاكراً حدها أولاً، ثم يفصل فيها القول، ثم يصل ذلك بتفريعاتها وجزئياتها، خاتماً بالشواهد عليها من الآيات القرآنية فالأحاديث الشريفة ـــ إن كانت ـــ على تحفظ بعضهم من الاستشهاد بها نظراً للخلاف المعروف في شأنها هل مروية باللفظ فتكون حجة، أو بالمعنى فيكون الخلاف فيها والأولى طرحها ـــ ثم أشعار العرب في القرن الأول وصدر الثاني الهجريين، وإن تجاوز بعضهم ذلك فإلى خلاصة أو استنتاج أو ملاحظة، مع كثرة الغوص في مسائل الخلاف وفرعياتها، مما يثقل كاهل اللغة ويشتت ذهن القارىء، ويحول دون تأمل أسرارها وتذوق جمالها.

ولا بد من التنبيه إلى أن النحاة الشناقطة لم يقفوا عند حد استنساخ وترداد النحو العربي القديم، بل نراهم تجاوزوا ذلك إلى آفاق من النحو لم تلامسها أيدي أسلافهم، ولا لاكتها أفواههم، مثال ذلك أن ابن بونه تسوّر جُدُر الخلاصة لنظم ما قصرت عنه يد ابن مالك واستدراك ما فاته، كما أن محنض بابه بن اعبيد الذي سار في فلك غير فلك ابن بونه نظم قاعدة أضافها إلى قواعد المغني وهي القاعدة الحادية عشرة في التوهم.

ونرى تلامذة ابن بونة نظموا الكثير من الفوائد والمسائل التي فاتته، وهكذا ظل كل جيل يكمل عمل سلفه، فقد راض عبد الودود حرون ابن بونه بتقييده بحمل إطلاقاته، ومقابل الأصح من أقواله، كما كان كتابا المواهب واختصاره لابني حبت موسوعة شاملة في اللغة والأدب والنحو والصرف، يدل عليها اسم

---

٢٠٣ - المرجع السابق ص ٣١٧.

wadod.org

الكتاب "المواهب النحوية والخلاصة المالكية والألفاظ البونية".

وهكذا نبه محمد عالي (مَع) بن سعيد الصغار، وعلم الكبار بشرحه للجامع شرحاً وافياً مستدركاً على سابقيه، ومنبهاً على مسائل أهملت، ومصححاً أخطاء وقع فيها بعض النحاة قبله.

ثم نخلص إلى كتاب سجّل فيه آخر هؤلاء المؤلفين تكراره، فأودعه آراء واستظهارات وتعقيبات وتصويبات حرية بأن تفرد في سفر مستقل لتكون نواة لثورة تصحيحية، تروم غربلة نحو الشناقطة وتخليصه من العلل الزائفة والخلافات الضارة التي توشك إن لم ترم به في عداد العلوم المهملة أن تشوه جماله وتموّه روعته.

والأمر الذي يقتضي منا الإنصاف قوله هو أن النحو الشنقيطي ــ في مجمله ــ لم يخرج عن دائرة التقليد، و لم يحد عن نهج المحاكاة من حيث الشكل، وإن كان مضمونه قد اتسم بخصائص طبعته تتلخص في الاعتماد المفرط على النظم والحواشي والطرر والفوائد، مع كثرة التصحيحات والتعقيبات على من سبقهم.

وإننا لنأمل أن تكون هذه الآراء والتصحيحات والاستظهارات ــ التي ظهرت عند متأخري نحاتنا ــ بوادر نهضة نحوية جديدة، تسعى إلى أقلمة النحو مع حياتنا اليومية المزدحمة، وطرح كثير من الصيغ والألفاظ المهجورة والتراكيب المستهجنة التي لا تعزز قاعدة ولا تخدم معنى، والتي حملت كثيراً من أبناء اللغة العربية البررة، المخلصين لخدمتها إلى إطلاق دعوات الإصلاح وصيحات الشكوى في بداية عصر النهضة الحديثة.

فهل خرس نحاتنا أم رضوا عن نحوهم، وهل وعى المصلحون قضية نحونا فسكتوا عنها، أليس فيهم رجل رشيد؟

الحق أن هنالك اتجاهين أساسيين متباينين:

ــ الاتجاه المحضري: وناصروه عاكفون على نحو القدامى من الموريتانيين وغيرهم يجدون فيه بُلغتهم وبغيتهم، ولا يطلبون به بديلاً، ولا إلى غيره سبيلاً.

ــ الاتجاه المدرسي الحديث: ويكتفون بالكتب المدرسية التي تيسر النحو وتجعله في مستويات مدرسية مختلفة، يأخذ منه كل طالب جرعته على قدر مستواه وحاجته.

فلو وجد اتجاه ثالث يجمع بين تيسير هذا وبعض غزارة مادة ذاك لكان فيه منهج وسط يجمع بين حسنات الاتجاهين.

أسير خلف ركاب البحث ذا عرج ... مؤملاً خير ما لا قيت من عرج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب السما للناس من فرج

وإن ضللت بقفى الأرض منقطعا ... فما علي أعرج في ذاك من حرج

والله ولي التوفيق

wadod.org

كتاب (العروضي)
وافتراضات المنجي الكعبي الخاطئة

ابو الحسن احمد بن محمد العروضي نديم الخليفة الراضي بالله = ابو الحسين احمد بن محمد العروضي النديم

الاستاذ هلال ناجي

في خواتيم جوان المنصرم وصلتني رسالة من الشاعر الكبير وامام العروضيين بتونس الأستاذ نورالدين صمود، تضمنت صورة مقالة للمنجي الكعبي نشرت في العدد الخامس والثلاثين بعد المئة من مجلة ((الحياة الثقافية)) بعنوان ((توضيح حول العروضي)) مرفقاً بها تعقيبه المنشور في العدد الموالي من المجلة ذاتها. وطلب مني ان ادلي بدلوي في الدلاء لان الكتاب اثر من آثار العبقرية العراقية في ميدان العروض، ولانني ممن اسهم في تحقيقه ونشره.

وللتاريخ اقول: ان مصورة مخطوطة كتاب العروض المجهولة الاسم والمصنف - بسبب ضياع ورقتها الاولى - كان تثوي في خزانتي منذ اواسط السبعينات، وهي فضل من افضال عديدة خصني بها العالم التونسي الجليل الاستاذ ابو القاسم محمد كرو، عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة. وكنت في الثمانينات قد اوقفت اخي العالم الجليل د. زهير زاهد عليها، فنهدنا لتحقيقها في عامي ١٩٨٨-١٩٨٩، وانجزنا عملنا في بواكير عام ١٩٩٠ وسلمناه إلى هاشم حسين صاحب مكتبة النهضة العربية ببغداد - وله صلات تجارية بالناشرين في بيروت - فأوصل المخطوطة المحققة بدوره إلى دار الجيل ببيروت في حينه لطبعها، وكان المأمول صدورها في العام ذاته، غير ان احداث الثاني من (أوت) ١٩٩٠، والحصار الذي فرض على العراق بعدها، وهو حصار تجاوز الامور العسكرية إلى كل شيء من مرافق الحياة بما فيها الغذاء والدواء وما له علاقة بالثقافة والكتاب. فانقطعت كل صلة لنا بمطابع بيروت وبالناشرين فيها، وعجز الكتبي هاشم حسين البغدادي عن متابعة مصير الكتاب. وكان الناشر قد تعهد بصنع فهارس فنية للكتاب عند الفراغ من طبعه. واطبقت علينا وعلى غيرنا من المثقفين العراقيين غمامة سوداء وظروف قاسية ادت إلى هجرة العقول خارج وطننا الصغير فاستقر اخي العلامة د. زهير زاهد في جامعة الفاتح بطرابلس الغرب منذ عام ١٩٩٣. وصار الناشرون اللبنانيون - وهم تجار - يتوجسون خيفة من نشر أي اثر عراقي أو المشاركة في معارض الكتب عندنا لعدم سماح السلطات العراقية باخراجهم ثمن المبيعات بالدولار ولاحت في الافق بارقة حين قبل العراق مبدأ ((النفط مقابل الغذاء والدواء)) فخفت حدة الحصار الثقافي، وسمعنا من

wadod.org

الكتبي العراقي خبر طبع كتابنا في بيروت عام ١٩٩٥ وانه وزع في الاسواق والمعارض عام ١٩٩٦. في بواكير ذلك العام وقفت على كتاب ((صنعة الشعر)) للسيرافي تحقيق الاخ د. جعفر ماجد، فاذا به كتاب ابي الحسن احمد بن محمد العروضي نديم الخليفة الراضي بالله العباسي، المتوفى سنة ٣٤٢هـ، والذي كنا قد حققناه وارسله الكتبي هاشم البغدادي إلى دار الجيل ببيروت لطبعة عام ١٩٩٠، فاخرجه إلى المعارض في بواكير عام ١٩٩٦!! ولأن د. جعفر ماجد من معارفي، ولمكانة الناشر التونسي الحاج الحبيب اللمسي عندي - وقد كان ولما يزل نموذجا للصدق والامانة بين الناشرين العرب - فقد آثرت الحديث بهدوء عن الخطأ العلمي الذي وقع فيه د. جعفر، في عنوان الكتاب وفي اسم مؤلفه.

وسيرت كلمة موجزة لكنها علمية ودقيقة إلى (نشرة) معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، اصحح هذا الامر بلا جلبة ولا ادعاء ولا غرور ولا تعالم، فان النقد العلمي لم يكن يوما سهاما خطلة تترامى يميناً وشمالاً، بل هو رسالة وامانة علمية تؤدى بارصن الاساليب واجملها. وهكذا كان ونشرت هذه الرسالة في العدد المزدوج ٧١-٧٢ (مايو-ديسمبر ١٩٩٦) من نشرة اخبار التراث العربي وصادف ان صدرت (مجلة المعهد)[1] وهي غير نشرته وقد ضمت في مضامينها مقالا موسعا لفقيد التراث د. محمود الطناحي تناول فيه نشرة جعفر ماجد وصحح نسبة الكتاب ووافق النسبة التي اعتمدناها وصوب غير قليل مما ورد في تضاعيفه، ولم يكن عند كتابة مقاله قد اطلع على طبعتنا. ثم وافتني رسالة من المحقق السعودي د.عياد الثبيتي الذي اطلع على الطبعتين التونسية والعراقية، أيد فيها ما ذهبنا اليه في امر مؤلف مخطوطة العروض.

وهكذا توافق المحققون من العراق ومصر والسعودية على صحة نسبة هذا المخطوط إلى ابي الحسن احمد بن محمد بن احمد العروضي نديم الخليفة الراضي بالله العباسي، المتوفى في عام ٣٤٢هـ. وتراجع الاخ د. جعفر ماجد عما ذهب اليه في طبعته الاولى، واعاد اصدار الكتاب بعد تصحيح نسبته واخذه برأينا. وإن كنا نعتب عليه إغفاله جهودنا في اثبات النسبة الصحيحة للكتاب. كما أيّد الدكتور عبدالقادر المهيري صحة نسبة المخطوط لأبي الحسن احمد بن محمد العروضي.

ثم ترامى الينا ان د. المنجي الكعبي نشر كتيباً سماه ((صنعة الشعر للسيرافي غلطا)) ثم وقفنا عليه فرأيناه ينفي نسبة الكتاب إلى السيرافي - وهذا صواب - ثم دار حول الكتاب بحثا عن مصنفه فما انتهى إلى رأي مقبول، فقد قال مرة [2] ((ان الاقرب في نسبته انه للزجاجي، ولكنه ليس كتابه ((المخترع في القوافي.. وانما هو كتابه ((المجموع في العروض))، والمجموع في العروض - حسب رايه - هو أنسب عنوان للمخطوط. ثم انتهى إلى انه كان يكفي ان يذكر عن مؤلفه وهو مجهول انه تلميذ

wadod.org

للزجاج[٣])). ومر عام ووافتني رسالة من الناشر الصديق الحبيب اللمسي ارفقها بقصاصات صحف عنوانها ((الاشبه بنفسه)) نشرها المجنى الكعبي في ست حلقات بصحيفة ((الشروق)) التونسية في افريل من عام ١٩٩٧. وتمثل هذه الحلقات محاكمة قاسية للطبعة الثانية من تحقيق جعفر ماجد، وهي الطبعة التي تبنى فيها جعفر اسم مصنفه الحقيقي كما اثبتناه في نشرتنا وهو ((ابو الحسن احمد بن محمد العروضي)) وكان رجوعه عن الخطأ فضيلة. وشكا اليّ للناشر التونسي ((حرب البسوس)) على حد تعبيره، وسألني عن رأيي في هذا الامر، فاخبرته في ردي ان النسبة الجديدة لنشرة جعفر هي الصحيحة والموافقة لنسبتنا.

وخلاصة ما تقدم ان المنجى الكعبي لم يتوصل إلى الاسم الكامل للمصنف الا بعد صدور طبعتنا التي ادركت معرض الكتاب بتونس في بواكير عام ١٩٩٦، ومقالاته شاهدة عليه.

اسانيدنا في نسبة المخطوطة إلى ابي الحسن احمد بن محمد بن احمد العروضي نديم الخليفة الراضي بالله العباسي:

اول هذه الاسانيد ان الله جل وعلا وفقنا خلال رحلة تنقير طويلة في كتب العروض وغيرها إلى الظفر بنصين طويلين اثبتهما المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) وهو من تلامذة ابي الحسن العروضي كما ورد في مصادر ترجمته[٤]، وقد وردا في كتابه ((الموشح)).

ورد هذا النص الأول في باب ((البيان عن السناد والاقواء والاكفاء والايطاء)) بالصيغة التالية [٥]:

حدثني احمد بن محمد العروضي: قال: الاقواء رفع قافية وخفض اخرى؛ وذلك معيب: قال بعضهم:

اراعك بالخابور نوق واجمال ورسم عفته الريح بعدى باذيال

قال: والاكفاء فساد القافية. ومن الناس من يجعل الاكفاء بمعنى الاقواء، ومنهم من يجعله اختلاف الحركات قبل حرف الروى. نحو قوله:

وقاتم الاعماق خاوى المخترق

مع قوله:

ألف شتى ليس بالراعي الحمق

wadod.org

فجمع بين الفتح والكسر. ومنهم من يجعله اختلاف الحروف؛ مثل قوله:

أإن زم اجمال وفارق جـــيرة وصاح غراب البين انت حزين

تنادوا باعلى سحرة وتجاوبت هوادر في حافاتهم وصهيـــل

قال: والسناد هو ايضا فساد القافية، وقد جعله قوم بمنزلة الاقواء والاكفاء؛ وبعضهم يجعله اختلاف القافية في التاسيس، وهو ام يجيء بقافية فيها حرف تاسيس وقافية بغير حرف تاسيس؛ نحو قوله:

يادار سلمى يا اسلمى ثم اسلمي

ثم قال:

فخنـــدف هـــامة هذا العالم

فجاء بقافية فيها حرف تاسيس وهي الالف في العالم، وقافية لا تاسيس فيها وهي اسلمى. وقيل: ان السناد هو اختلاف الحركات قبل الارداف في مثل قوله:

فان يك فانني اسفا شبابي وامسى الراس مني كاللجين

فقد الج الخباء على جوار كان عيونهن عيـــون عين

ففتح الجيم من اللجين، وكسر العين من قوله عين. وقد جعل قوم حركة الدخيل سناداً.

قال: والايطاء اعادة القافية؛ وذلك عيب. وقد استعملته العرب.

قال: والتضمين هو بيت ينى على كلام يكون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضيا له؛ فمن ذلك قوله:

وسعد فسائلهم والرباب وسائل هوازن عنا اذا ما

لقيناهم كيف نعلوهـــم بواتر يفرين بيضاً وهاما

قال: ومن عيوب الشعر الرمل. والرمل عند العرب كل شعر ليس بمؤلف البناء، ولا يحدثون فيه شيئاً الا انه عيب.

wadod.org

وهذا النص بتمامه موجود في الورقتين (١٢٦-١٢٧) من المخطوطة المجهولة ومستقى منها اما النص الثاني فقد ورد في باب من ضرورات الشعر - موشح المرزباني ص١٤٤-١٥٠ وهو موجود بحذافيره مع احتصار قليل في مخطوطة العروض المجهولة (الورقتان ٢٨-٣٢ب) في باب عنوانه (ما يحتمل الشعر) وفيما يلي نص المرزباني:

١- حدثني العروضي قال: اعلم ان ما لاينصرف يجوز صرفه في الشعر، لانه يرد إلى اصله؛ نحو قوله:

لم تتلفع بفضل مئزرها دعد ولم تغذ دعد بالعلب

فصرف وترك الصرف في بيت واحد.

٢- واما ترك صرف ما ينصرف فهو غير جائز، لانه يخرج الشيء عن اصله، وقد اجازه الاخفش، وانشد قول العباس بن مرداس السلمي:

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

فترك صرف مرداس، وهو اسم منصرف؛ وهذا قبيح لا يجوز ولا يقاس عليه لانه لحن.

٣- ومثله في المعنى قصر المدود؛ يجوز في الشعر؛ ولا يجوز ان يمد المقصور، لانه خروج عن الاصل، وقصر المدود هو رد الشيء إلى اصله. قال الشاعر:

بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكاء ولا العويل

فقصر البكاء ومَده في بيت واحد.

٤- واما مد المقصور فقد انشدوا:

سيغنيني الذي اغناك عني فلا فقـــر يدوم ولا غنـــاء

والوجه الاجود في هذا ان يكون اوله مفتوحا، لان معنى الغنى والغناء واحد. والشاعر اذا اضطر إلى مد المقصور غير اوله ووجهه إلى ما يجوز، قال:

والمرء يبليه بلاء السربال كر الليالي وانتقال الاحوال

فلما فتح الباء من البلى ساغ له المد. ومثل هذا كثير. وقال آخر- ومد الزنا:

ابا حاضر من يزن يظهر زناؤه ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

wadod.org

٥- ومما جاء في الشعر من الاجتراء بالضمة من الواو - في مثل كانه وله وبيناه - قول الشاعر:

له زجل كانه صوت حاد اذا طلب الوسيقة أو زمير

وقول الآخر:

فبيناه يشرى رحله قال قائل لمن جمل رخو الملاط نجيب

وقوله:

فما له من مجد تليد وماله من الريح فضل لا الجنوب ولا الصبا

٦- قال: ومما حذف منه بعض الكلمات في البيت قوله:

وطرت بمنصلي في يعملات دوامي الايد يخبطن السريحا

فاسقط الياء من الايدي، كقوله:

كنواح ريش حمامة نجدية ومسحت باللثتين عصف الاثمد

فاسقط الياء من نواحي.

قال: وقد اقط الشاعر ما هو الزم واثبت في بابه: من هذا نحو قول النجاشي:

فلست بآتيه ولا استطيعه ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل

فحذف النون من (لكن).

وقال الآخر:

دار لسعدى اذه من هواكا

فحذف الياء من هي.

٧- وقد جاء في الشعر تسكين الحروف التي عليها الضمات والكسرات، نحو عَضُد وفَخِذ، فقيل عضْد وفخْذ، وفي كَبِد كَبْد، وفي عَلِم علم، وفي كَرُم كُرم، وفي رَجُل رجْلَ، وفي ضُرِب ضُرْب، وفي عُصِر عُصْر.

قال الشاعر:

لو عُصْر منها البان والمسك انعصر

وفي مثل انطلْق انطلقَ: تسكن اللام، وتحرك القاف بالفتح. قال الشاعر:

wadod.org

الا رب مولود وليس له اب وذي ولد لم يَلْدَه ابوان

فحرك الدال بالفتح لما اسكن اللام.

واما قول الشاعر:

قواطنا مكة من ورق الحمى

فانه اراد ((الحمام)) فحذف الالف، فبقى ((الحمم)) فاجتمع حرفان من جنس واحد، فابدل الميم الثانية ياء، كما قالوا: ((تظنيت))، فابدلوا الياء من النون، ولا يجوز ان تقول - على هذا: الحمى في الحمار، ولا ما اشبه هذا، لان هذا شاذ لا يقاس عليه.

٨- وقد ضاعف الشاعر ما لا يجوز في الكلام. قال: قعنب:

مهلا اعاذل قد جربت من خلقى اني اجود لاقوام وان ضننوا

وقال الآخر:

الحمد لله العلي الاجلل

وانما الكلام ((ضننوا)) و((العلى الاجل))؛ فضاعف الشاعر.

٩- وقد يُردّ الشاعر الاعراب إلى اصله في مثل قاض، فيقول قاضى وقاضى غير مهموز، وكذلك جوارى وغوانى. فقال:

لا بارك الله في الغواني هل يصبحن الا لهن مُطّلبُ

وقول الآخر:

ما إن رأيت ولا أرى في مدّتي كجواري يلعبن في الصحراء

وقال الآخر: الفرزدق

فلو كان عبدالله مولى هجرته ولكن عبدالله مولى مواليا

وقد قال الشاعر - في مثل لم يغز ولم يرم: لم يغزو ولم يرمى، كانه اسكن الواو والياء بعد وجوب الحركة لهما، فقال:

الم ياتيك والانباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

كان اصله ياتيك فحذف الضمة.

wadod.org

١٠-وقد الحق الشاعر نون الجميع مع الاسم المضمر في مثل الضاربونه وكذلك الخائفونه والآمرونه، فقال:

هم القائلون الخير والآمرونه اذا ما خشوا من محدث الامر مفظعا

١١-وقد حذف الشاعر التنوين من الاسماء المنصرفة لالتقاء الساكنين، فقال:

وحاتم الطائي وهّاب المئى

وقال ابو الاسود الدؤلي:

والفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا

فحذف التنوين في حاتم وذاكر، لانه اراد ان يحرك لالتقاء الساكنين فحذف.

١٢- وقد حذف الشاعر الاعراب، وليس بالحسن. انشد سيبويه:

فاليوم اشربْ غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

يريد أشْرَبُ، فحذف الضمة، والرواية: فاليوم فاشربْ.

١٣- وقد قطع الشاعر ألفَ الوصل وليس بالحسن. قال جميل:

الا لا ارى اثنين احسن شيمة على حدثان الدهر مني ومن جُمْلِ

فقطع ألف اثنين وهي ألف الوصل.

١٤-ومما حذف اعرابه قوله:

اذا اعوججن قلت صاحب قوم بالدو امثال السفين العوّمْ

وقد جاء في الشعر مكان مساجد مساجيد، ومكان دراهم دراهيم. قال الشاعر:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

١٥- وقد جاء في مثل المفتاح المفتح، وفي مثل التأميل التأمال، وفي مثل الكلكل الكلكال، قال الشاعر:

اقول إذ خرت على الكلكال ياناقتي ما جلت من مجال

١٦- ومما جاء في القوافي من الحذف قوله:

وقبيل من لكيز شـــــــاهد رهط مرجوم ورهط ابن المُعَلْ

wadod.org

يريد ابن المُعَلّى، فحذف.

ومما جاء في تخفيف المشدد قوله:

دعوت قومي ودعوت معشري حتى اذا ما لم اجد غير الشر

كنت امرءاً من مالك بن جعفر

فحذف الراء من الشرّ

وقال العباس: ((السرى)) بالسين: اسم رجل، وانما حذف احدى الياءين.

١٨- وقد وضع قوم الكلام في غير موضعه، فقدّموا وأخروا، نحو قوله:

صددت فأطْوَلْتِ الصدود وقلما وصالٌ على طول الصدود يدوم

يريد: وقلما يدوم وصال. وقال الآخر:

ان الكريم وابيك يعتملْ ان لم يجد يوماً على من يتكلْ

يريد من يتكل عليه، فقدم وأخر.

وقال الفرزدق:

وما مثله في الناس الا مُمَلَّكا ابو أمّه حيٌّ أبوه يُقارِبُهْ

وانما اراد: وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه الا مُمَلَّكٌ ابوامه ابوه، فتعسف هذا التعسف الشديد، ووضع اشياء في غير مواضعها، وانما مدح بهذا الشعر خال هشام، فقال: ما في الناس حيٌّ يقارب خال هشام الذي أبو أمه أبوه.

يعني أن جدّ هشام لأمه هو أبو هذا الممدوح.

وانما زدنا في شرحه ليفهم.

وهذا قبيح جدا، وانما نصب مملكا لانه استثناء مقدم، كما قال: ((مالى الا اباك صديق)) اذا أردت مالى صديق الا أبوك.

١٩- وقد صغّر الشاعر، فقال امرؤ القيس:

ضليع اذا استدبرته سدّ فرجه بضافٍ فُويق الارض ليس بأعْزَلِ

wadod.org

وقال زهير:

فاما فُويق العقْدِ منها فمن ادماء مرتعُها خَلاءُ

وقال الأعشى:

ابلغ يزيدَ بني شيبان مألُكَةً ابا ثُبَيْتٍ اما تنفكُ تأتكلُ

وقال ابو زبيد الطائي:

يابن امي وياشُقَيقَ نفسي انت خليتني لامر شديد

٢٠- وقد جاء في غد غدو، نحو قول الشاعر:

وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغَدْواً بلاقعُ

وجاء في موضع ليتني ليتي، قال الشاعر:

كمنية جابر إذ قال ليتي أصادفُه وافقد بعض مالي

٢١- وجاء في (انعَمْ صباحا)) عِمْ صباحا، قال الشاعر:

اتوا نارى فقلت منونَ انتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

٢٢- وقد رخم الشاعر في النداء، فقال:

يامرو ان مطيتي محبوسة ترجو الحياء وربها لم ييأس

يريد مروان.

وقال آخر:

فقلتم تعال يايزي بن مخرم فقلت لكم: اني حليف صداء

يريد: يايزيد، فرخَم

واما في غير النداء فقول امرىء القيس:

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره طريف بن مالِ ليلة الجوع والخَصرْ

يريد مالك، فرخم في غير موضع النداء.

٢٣- وقد أبدل الشاعر مكان الحرف المتحرك حرفا لا تجري فيه الحركة، نحو قوله:

wadod.org

لها اشاريرٌ من لحم تتمرهُ من الثعالى ووخز من أرانيها

يريد الثعالب وارانبها، فابدل الياء بالباء.

ومثله قوله:

ومنهل ليس به حوازق ولضفادي جمّه نقانقُ

يريد الضفادع

والنص الأول ورد عند المرزباني مصدراً بقوله: حدثني احمد بن محمد العروضي. والنص الثاني ورد بصيغة، حدثني العروضي. واذا ما علمنا ان المرزباني كان من تلامذة ابي الحسن العروضي، ادركنا ان هذين النصين رواهما المرزباني عن شيخه ابي الحسن احمد بن محمد العروضي مباشرة ووجودهما في المخطوطة المجهولة دليل قاطع على نسبتها لمصنفها احمد بن محمد العروضي. ورغم انّ ورود هذين النصين في موشح المرزباني منسوبين لاحمد بن محمد العروضي يقطعان بنسبة المخطوطة كلها له. فقد توفرت لدينا أدلة اخرى منها:

١- كلام للمعري في مقدمة لزومياته هذا نصه (لزوم مالايلزم- ج١ص٣٨): ((وقد روى ابو الحسن العروضي الذي كان في صحبة الراضي. ان ابا اسحاق الزجاج سُئِلَ عن الرويّ في قول الشاعر:

ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها فزعم انه الياء فروجع في ذلك فلم ينتقل عنه. وانما ذكر أبو الحسن ذلك يعيبه عليه، لان مذهب الخليل والطبقة الذين بعده ان الروي الهاء)). يقول هلال بن ناجي ومضمون هذا الخبر المنسوب لابي الحسن العروضي موجود على الورقة ١٢١ من مخطوطتنا.

٢- وقد اضفنا في مقدمة الطبعة الثانية دليلا جديداً أو قل نقلا جديدا ورد في مخطوطة ((ريحان الالباب وريعان الشباب في مراتب الآداب)) لابي القاسم الاشبيلي المتوفى سنة ٥٦٤ هـ. فقد جاء في هذا النقل ما نصه [٦]: واخبر ابو الحسن العروضي ان الزيدي كتب اليه: حفظك الله وابقاك، لقد كان من الواجب ان تاتينا امس إلى منزلنا يا ابا الحسن زائراً لتحدث العهد وما مثلك من ضيع عهداً وغفل عن عهد مشغول بعذر واضح تولاك بالحياطة الله وماذا بابي صنعت في الكتاب.

قال: فاخرجتها من مربع الرجز وحرف الروي منها اللام وفيها زيادة لفظة في اخرها واول بيت منها:

حفظك الله وابقاك لقد كان من الْ

wadod.org

قال: وكتب الي بعد استخراجي هذه الابيات:

قل لابراهيم اما زرته في البيت أوْ

جئته في الدار مرجوا ابا اسحاق لوْ

كنت تزهى لشناك الناس طرا وقلوك

قال: فاخرجتها فاذا هي من مربع الرمل وحرف رويها الواو، فيها زيادة حرف وهي (ك). وهذا النص المثبت في مخطوطة كتاب ((ريحان الالباب وريعان الشباب)) والمنسوب بصراحة لابي الحسن العروضي، موجود في المخطوطة المجهولة على الورقة (٩٤) مع اختلاف في بعض الالفاظ والجوهر واحد.

٣- ويجيء بعد هذه الادلة القاطعة والنقول الثابتة النسبة، نقل آخر اورده ابو هلال العسكري في كتابه ((ديوان المعاني)) ضمن فصل في تعمية الاشعار، جاء بالصيغة التالية: وذكر بعض اهل العلم واظنه ابا الحسن العروضي. ثم اورد نصا طويلا، وهذا النص موجود في المخطوطة المجهولة المؤلف، وهو نص اهتدى اليه ابتداءً المحقق السعودي الثبت عياد الثبيتي واخذه عنه شفاها المحقق المرحوم محمود الطناحي واشار في مقالته المنشورة بمجلة معهد المخطوطات العربية[٧].

وهذا الذي أشار اليه الطناحي اثبته نصاً الاستاذ العروضي نور الدين صمود في مقالة منصفة نشرها في مجلة الحياة الثقافية التونسية بعنوان ((حول نسبة كتاب صنعة الشعر أو الجامع في العروض والقوافي))[٨].

٤- وبعد النقول القاطعة التي اوردناها، نهض دليل آخر ذكرناه في مقدمة الطبعتين الاولى والثانية بتحقيقنا، وهذا الدليل يتلخص في ان مصنف معجم الادباء وقف على كتاب ابي الحسن العروضي ووصفه من الداخل، وبعد ان اكد ان مصنفه امام في علم العروض حتى اثنى عليه ابو علي الفارسي ثناءً لا مزيد عليه، عاد فاورد نقلا من كتاب ابي القاسم عبيدالله بن جرو الاسدي في العروض، نقد فيه كتاب العروضي ولكنه في نقده الذي اورده ياقوت سمي فصولا من الكتاب: منها باب في علم القوافي واخر في استخراج المعمى وثالث في الايقاع وانه ختمه بقصيدة في العروض يرد بها على الناشيء. وقد رد الصفدي على كلام الاسدي ردا مقنعاً[٩].

wadod.org

والملاحظ على هذا الوصف الداخلي للكتاب ان فصلين منه قد سقطا من المخطوطة هما فصل الايقاع والقصيدة العروضية.

ان وجود باب (استخراج المعمى) في المخطوطة المجهولة دليل قاطع آخر على صحة نسبتها لابي الحسن احمد بن محمد العروضي، إذ اجمع مترجموه على قدرته الفذة في استخراج المعمى.

تلك هي اسانيدنا في نسبة المخطوطة العروضية المجهولة المؤلف إلى ابي الحسن احمد بن محمد بن احمد العروضي (نديم الخليفة الراضي بالله العباسي) المولود في حدود عام ٢٧٠ هـ والمتوفى في عام ٣٤٢ هـ.

عودة فارس الحملة

في اواسط عام ١٩٩٧ طلع د. المنجى الكعبي بكتابه ((رحلة تحقيق في مخطوط مجهول)) واصفا نفسه في مقدمته بانه (فارس الحملة) [١٠]! ناعتاً نشرتنا ونشرة جعفر بانهما غير سليمتين وان مؤلفه هو ابو الحسين احمد بن محمد العروضي الملقب بالنديم[١١].

لقد بدأ العُجْب والتخيل وأوهام السبق العلمي تعصف بالكعبي فزعم: ان مقالاته كان لها صداها بالمشرق ((الامر الذي يعتقد انه حمس الاستاذان العراقيان (كذا) إلى المسارعة بتنزيل طبعة من تحقيقهما إلى السوق قبل ان تستوي جميع اسباب التحقيق والفهرسة بين يديهما (كذا) [١٢])).

جدير بالذكر ان نشرتنا قد اثبتت الاسم الكامل لمصنف المخطوطة على وجهه الصحيح فهو (أبو الحسن احمد بن محمد العروضي) المتوفى سنة ٣٤٢ هـ وفي تضاعيف مقدمتنا انه كان (نديما) للخليفة الراضي بالله العباسي المتوفى سنة ٣٢٩ هـ.

فارس الحملة تحدث عن جهوده حين طار إلى باريس لملاحقة (عروض سيفي) وهو مؤلف فارسي من القرن التاسع احال عليه التهانوي في كشاف مصطلحات الاسامي والفنون تحت مادة ((غريب)) بقوله ((هو مصطلح اهل العروض، وهو البحر الذي وزنه فاعلن ثمانية مرات ويسمى بالمتدارك ايضا كما في عروض سيفي)).

وبعد متاعب مادية ومعنوية كثيرة ظفر الكعبي بعروض سيفي مترجماً إلى الانكليزية فوجد ما نصه: ((وسماه احمد العروضي الغريب)).

wadod.org

وتحدث الكعبي عن طيرانه إلى القاهرة وما واجهه من متاعب دار الكتب فيها، ثم عودته إلى تونس منقرا في مخطوطات العروض التي تحتجنها دار الكتب الوطنية فيها.

كان هدفه الاساس لا الرحلة في طلب العلم والحقيقة، لكن رحلته كانت بحثا عن دليل يدعم انه مكتشف مصنف هذه المخطوطة العروضية المجهولة، خلافا لما اثبته المحققان العراقيان بالادلة القواطع مما وافقهما عليه المحققون الافاضل في تونس ومصر والسعودية. كانت خلاصة جولته ومقالاته التي ضمها كتابه ((رحلة تحقيق في مخطوط مجهول)). ان المخطوطة العروضية المجهولة ليست لابي الحسن احمد بن محمد العروضي نديم الخليفة الراضي بالله، ولكنها لابي الحسين احمد بن محمد العروضي النديم!!

الرد على افتراضات الكعبي

يقول هلال ناجي: صاحبنا (ابو الحسن احمد بن محمد بن احمد العروضي) المتوفى عام ٣٤٢ هـ والذي نسبنا المخطوطة اليه، ترجم له اعلام كبار لا ترقاهم شبهة.

ترجم له الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) في تاريخه - ج٦ ص٣٤٥ رقم الترجمة ٢٨٣٩ طبعة د. بشار عواد معروف. وترجم له ياقوت الحموي الرومي في معجمه - طبعة احسان عباس ص٤٧١-٤٧٢. وترجم له علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ) في كتابه إنباه الرواة على أنباه النحاة)). بتحقيق (محمد ابو الفضل إبراهيم) - ج ١ ص١٢٨.

وترجم له الصفدي (ت ٧٦٤هـ) في الوافي بالوفيات ج ٧ ص٣٢٨-٣٢٩ فعرفوا به خير تعريف. واورد ابو بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) في اوراقه [١٣]، والمسعودي (ت٣٤٦هـ) في مروج الذهب[١٤] كثيرا من اخبار منادمته للخليفة الراضي بالله العباسي حتى لحقه لقب النديم وعرف به. لكن الكعبي عجز بعد سبعة اعوام شداد من معاركه ورحلاته، عجز ان يجد مؤرخاً قديماً واحداً يترجم لصاحبه الموهوم الذي لا وجود له الا في افتراضاته. ولسنا ندري لم لم يسال الكعبي نفسه: هل يصح ان مصنفا بهذه العلمية الرفيعة، وهذه المكانة الاجتماعية العالية، التي كشف عنها اسماء الاعلام الذين جالسهم أو صاحبهم ممن ذكرهم في كتابه، هل يصح ان يغفله المترجمون اغفالا تاما، وهل هذا منطقي ومعقول؟ والجواب - في تقديرنا - يعرفه الكعبي، لكن رغبته في تسجيل كشف علمي باسمه ظلت مستبدة به فتمسك بقلب (النديم) ظنا منه ان لفظة (النديم) هذه ستخلق فارقا يعتد به بين علم حقيقي ترجم له اعلام المؤرخين وهو ابو الحسن احمد بن محمد بن احمد العروضي نديم الخليفة الراضي بالله العباسي، وبين آخر لا وجود له الا في مخيلة الكعبي اغفلته كل كتب التراجم لانعدام وجوده. وانا ساخيب ظنه حين اكشف ان صاحبنا ابو الحسن احمد بن محمد

wadod.org

بن احمد العروضي، إمام العروض في زمنه كما سماه الصفدي، كان (نديما) فعلا، ونديما للخليفة الراضي بالله العباسي بالذات، وعرف بهذا اللقب ايضا.

وهذا ما ساقيم عليه الادلة التي تجلوه، حتى تنتهي حكاية (فارس الحملة) التي وصف بها المنجى الكعبي نفسه في التمهيد الذي سطره لكتابه ((رحلة تحقيق في مخطوط مجهول)).

وانا اسأل الكعبي ابتداءً: نديم من كان صاحبك؟ الالقاب لها اسباب وانت لم تبحث عن سرّ تسمية صاحبك بالنديم، فنديم من كان صاحبك هذا، وفيم لحقته هذه التسمية؟؟ واين هي اخبار منادماته في المصادر التاريخية والادبية؟ وافتراعاً للحديث اتساءل: ما النديم؟؟

النديم المصاحب على الشراب المسامر[١٥]. وجمع النديم ندام، وجمع الندام ندامى[١٦]. وفي تاج العروس: قال: نادمه منادمة ونداما: جالسه على الشراب هذا هو الاصل، ثم استعمل في كل مسامرة [١٧]. وقيل ان العرب انما سمت النديم نديما لانه يُندم على فراقه [١٨]. وفخر امرؤ القيس مع شرفه وعلو قدره في القبائل بانه كان نديما في قوله[١٩]:

ونادمت قيصر في ملكه فاوجهني وركبت البريدا

وقديما قيل: واستظرف نديمك، فانما يزنك الداخل اليك بمثقال من يراه معك. جُماع ما تقدم: ان النديم هو الجليس على الشراب، والجليس المسامر. والسؤال: ما الدليل على ان ابا الحسن احمد بن محمد العروضي كان نديما وعرف بهذه الصفة؟؟ والجواب افصله في الآتي:

اولا: قال أبو بكر الصولي وهو يتحدث عن الخليفة الراضي بالله ما نصه[٢٠]: فلما فرغ قلبه من امر (ابن الخال) وجّه الي: من هاهنا ممن جالس الخلفاء، وممن يصلح ان يجالسني؟ فوجهت اليه: انه لم يبق ممن جالس الخلفاء غير اسحاق بن المعتمد، وهاهنا من رسم بالمجالسة وما جالس بعد، مثل محمد بن عبدالله بن حمدون، ومثل ابن المنجم. فقال[٢١]: قد عزمت على الجلوس وتقدم باحضار الجماعة، وأمر ان يكون منهم احمد بن محمد المعروف بالعروضي، واليزيديان اسحاق وعلي ابنا إبراهيم وكان العروضي مرسوما بتاديب ابي اسحاق المتقي لله امير المؤمنين واخيه علي، رسمه بذلك المعروف بابن غالب وكانت رياسة التاديب اليه، لان الزجاج النحوي كان ندب لتاديب المقتدر بالله فاستخلفه فغلب على الامر وحظي به دون الزجاج. ووهب له واقطع لما ولي المقتدر ما اغناه وكفاه، فرسم العروضي بهذين. ورسم ابا عبدالله محمد بن العباس اليزيدي بتاديب الراضي واخيه هارون، ثم ان علي بن المقتدر توفي فكان العروضي يصير إلى الراضي واخيه هارون فيكرمانه، وتوفي اليزيدي وابن غالب قبل خلافة الراضي، فلم يكن يجلس اليهما غيره وغير علي بن

wadod.org

إبراهيم اليزيدي على نوبة وملازمة. فأمر الراضي ان يحضر الجماعة الدار في مستهل رجب سنة اثنين وعشرين وثلثمائة ليجالسوه واحضرنا، وامرنا ان يكون جلوسنا على ما أنا اذكره. رسم ان يكون على يمينه اقربنا اليه اسحاق بن المعتمد، ثم اكون انا تاليا له، ثم يكون العروضي تاليا لي ثم يكون ابن حمدون تاليا له. ثم يجلس الباقون عن يسرته على ترتيب ربما اختلف، فكنا في المجلس في اول جلسة جلسها: اربعة عن يمينه كما ذكرت، وخمسة عن يساره وهم: يوسف واحمد ابنا يحيى بن المنجم، وعلي بن هارون بن علي بن يحيى واليزيديان: اسحاق وعلي ابنا إبراهيم...)).

وتحدث الصولي عن انشاد احمد بن يحيى وعلي بن هارون قصيدتين يهذئان الراضي بالخلافة، ثم امر الخليفة ابا بكر الصولي بانشاد قصيدته الضادية في الموضوع ذاته فانشدها، واورد نصها فاستحسنها الخليفة، واورد الصولي كلاما طريفا قاله الراضي في تلك الجلسة، حتى قال: وكنا بين يديه في ذلك اليوم ثلاث ساعات من الليل نشرب، وكان هو لا يشرب، قد ترك النبيذ جملة، ثم انصرفنا. ووصف ما جرى مع ندمانه وهم يجلسون على بركة.

حتى قال: ثم واصل الجلوس بعد ذلك.

يقول هلال بن ناجي: وظلت صلة (العروضي) بالخليفة الراضي طيلة مدة خلافته (٣٢٢ هـ - ٣٢٩ هـ) ولم يكن نديما للخليفة فقط، بل كان هو والصولي من خاصة نداماه، يلازمان مجالسه الخاصة فيطلعهما على ما لا يطلع عليه غيرهما من الاسرار وكانا يقدمان النصح في امور خاصة وخطيرة ويخلصان فيه. وكان يجزل العطاء لهما وفاء منه حق التاديب والمنادمة وعرفانا بمنزلتهما [٢٢].

وبعد موت الراضي بالله في ربيع الأول عام ٣٢٩ هـ، بويع للمتقي لله بالخلافة فقطع هذا الخليفة ما كان يقيمه سلفه من مجالس الاداب والعلم، واعلن انه لا يريد جلساء ولا ندامى فانقطعت اخبار العروضي بعدها، وهذه الصورة الحية التي رواها معاصر للاحداث عرف بصدقه، تكشف ان صاحبنا لم يكن نديما للخليفة الراضي فحسب، بل كان من خاصة نداماه كما اسلفنا. وهكذا صح في تلقيبه ان يقال: العروضي النديم.

ثانيا: واورد المسعودي في كتابه ((مروج الذهب ومعادن الجوهر)) والمسعودي (ت ٣٤٦ هـ) وكان معاصرا لصاحبنا العروضي، اخبارا كثيرة تعكس صورة ابي الحسن العروضي نديما وسميرا للخليفة الراضي باجلى ملامحها. والنديم كما تقدم في تعريفه: السمير والجليس والمشارك على الشراب.

wadod.org

قال المسعودي: واخبرنا العروضي قال: سمرت عند الراضي في ليلة شاتية صهابية، فرايته متململا، فقلت له: ياامير المؤمنين، ارى منك خصلا لم اعهدها، وضيق صدر لم اعرفه، فقال: دع عنك هذا، وحدثني بحديث، فان انت ازلت بحديثك ما اجده من الهم فلك ما علي وما تحتي، على ان اشترط عليك ازالة الهم بالضحك. فحدثه العروضي بحكاية بالغة الاثارة، فذهب بالراضي الضحك كل مذهب، وسلم للعروضي كل ما كان عليه وتحته من لباس وفرش [٢٣].

وقص ابو الحسن العروضي ما كان دار بينه وبين الراضي حين تعاظم امر (بجكم التركي) فصك صورته على الدينار والدرهم وكتب حولها:

انما العز فاعلم للأمير المعظم

سيد الناس (بجكم)

وكيف شكا الراضي للعروضي ما يصنعه (بجكم)، فلم يجبه بشيء.

قال (العروضي) واخذت به في اخبار من مضى من الخلفاء وسيرهم واتباعهم ثم نقلته إلى اخبار الفرس وغيرها، حتى سلا ما عرض لنفسه. قال: ثم قلت له: ما يمنع امير المؤمنين ان يكون كالمأمون في هذا الوقت (يوم المهرجان) حيث يقول:

صل الندمان يوم المهرجان بصاف من معتقة الدنان... الخ

قال العروضي: فطرب الراضي واخذته اريحيته، فقال لي صدقت: ترك الفرح في مثل هذا اليوم عجز، وامر باحضار الجلساء، وقعد في مجلس التاج على دجلة. فلم ار يوماً كان احسن منه في الفرح والسرور، واجاز في ذلك اليوم من حضره من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وانواع الطيب [٢٤].

وهذه الاخبار لمعاصر للعروضي ومؤرخ ثبت، تثبت بالدليل القاطع أن العروضي كان نديما للخليفة بل كان من خاصة ندمانه. ولذلك لحقه لقب النديم مضافا للقبه الأول.

ثالثا: وهذا ابو العلاء المعري ينقل خبرا عن ابي الحسن العروضي فيقول:

((وقد روى ابو الحسن العروضي الذي كان في صحبة الراضي))[٢٥]، فملازمة ابي الحسن العروضي للخليفة الراضي غدت من الشهرة والذيوع بحيث دعت عالما جليلا مثل ابي العلاء المعري يميزه بها بقوله: ابو الحسن العروضي الذي كان في صحبة الراضي. ومن كان في صحبة خليفة

wadod.org

يجالسه ويسامره، فقد كان بالتاكيد نديما له والكعبي - وقد قرأ هذا الخبر - لم يسأل نفسه: هل كان هذا العروضي حاجبا للخليفة، ام بوابا؟ ام كان رئيس شرطته ام قائد جيشه؟ ام ماذا؟

ان مدلول عبارة ((في صحبة الراضي)) انه كان نديما له.

رابعا: وتتجيء قصة ابي الحسن العروضي مع ابي بكر محمد بن القاسم الانباري شاهدا آخر على منادمة صاحبنا للخليفة الراضي. قال ابو الحسن العروضي: اجتمعت انا وابو بكر بن الانباري عند الراضي بالله على الطعام، وكان الطباخ قد عرف ما ياكل ابوبكر وشوى له قلية يابسة. قال: فاكلنا نحن الوان الطعام واطايبه وهو يعالج تلك القلية، ثم فرغنا واتينا بحلوى فلم ياكل منها، فقمنا وملنا إلى الخيش فنام بين يدي الخيش ونمنا في خيشين، ولم يشرب ماء إلى العصر، فلما كان بعد العصر قال: ياغلام: الوظيفة، فجاءه بماء من الجب وترك الماء المزمل بالثلج، فغاظني امره وصحت: ياامير المؤمنين! فامر باحضاري وقال: ما قصتك؟ فاخبرته وقلت: ياامير المؤمنين، يحتاج هذا إلى ان يحال بينه وبين تدبير نفسه لانه يقتلها، ولا يحسن عشرتها، فضحك وقال: في هذه لذة وقد جرى له به عادة، وصار آلفا لذلك فلن يضره. ثم قلت له: يابا بكر! لم تفعل هذا بنفسك؟ فقال: أبقي على حفظي [٢٦].

وهذه الحكاية تكشف عن لون من التبسط بين الخليفة والعروضي، فهو يدل بمكانة النديم حيث يجرؤ فيصرخ في قصر الخليفة: ياامير المؤمنين! صرخة سمعها الخليفة فاستدعاه وسأله عن سببها. ومن الطبيعي ان هذه المنزلة لا ينالها الا نديم الخليفة وابناء القصر.

وهكذا يتضح من هذه الشواهد ان اشتهار امر العروضي بانه من خاصة ندماء الخليفة الراضي بالله، شائع بين الناس، ومن كانت هذه صفته لقب دونما شك بـ (النديم) وطغت عليه شهرة هذا اللقب.

ابو الحسن = ابو الحسين

وذكر الكعبي انه وقف على مخطوطة الفوائد الصفدية في شرح الاندلسية لمصنفها احمد بن محمد الخالدي الصفدي المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ. وهي مخطوطة فريدة في المكتبة الوطنية في تونس. في مقدمتها يقول مصنفها: ((وحيث اقول قال العروضي، فهو العلامة ابو الحسين احمد بن محمد العروضي تلميذ الزجاج... الخ)) وقد اورد الخالدي الصفدي نقولاً كثيرة من كتاب العروضي موجودة في المخطوطة المجهولة. ورغم ان هذا الكلام - الذي نقله الكعبي عن مصنف المخطوطة - كان واضحا وصريحا في نسبة المخطوطة إلى احمد بن محمد العروضي، ولم يلقبه الصفدي بالنديم،

wadod.org

الا ان الكعبي اثار ادعاء آخر خلاصته ان كنية صاحبه - الموهوم - (ابو الحسين) لا (ابوالحسن). وان هذه الكنية علامة فارقة له!! رغم اتفاق اسميها واسمي ابيهما ولقبهما وتلمذتهما للزجاج!!

في الرد على هذا الاجتهاد المغلوط اقول:

١- عرف غير واحد من اعلام العربية باكثر من كنية ومنهم:

سيبويه، فاسمه عمرو بن عثمان بن قنبر، وله اربعة كنى: ابو الحسن وابو الحسين وابو بشر وابو عثمان.

وابن اخي الاصمعي - الراوية المشهور، واسمه عبدالرحمن بن عبدالله له كنيتان: ابو محمد، وابو الحسن.

والعالم الكبير يونس بن حبيب الضبي له كنيتان: ابو عبدالرحمن وابو محمد. واللغوي الشهير عبدالرحمن بن حريش له كنيتان: ابو مسحل وابو صفوان. وعبدالله بن سعيد الاموي له كنيتان: ابو محمد، وابو صفوان وعبدالله بن محمد التوزي له كنيتان: ابو محمد وابو الوزواز. والعالم الكبير ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي له كنيتان: ابو جعفر وابو عبدالله. فهؤلاء اعلام العربية للواحد منهم كنيتان فاكثر. فما الغرابة اذا كانت لاحمد بن محمد العروضي كنيتان: ابو الحسن وابو الحسين. كما ثبت له لقبان: العروضي والنديم؟؟ وهذا افتراض من الافتراضات.

٢- ان تكنية المصنف (بابي الحسين) التي وردت مرة واحدة في المخطوطة في شعر انشده اياه اليزيدي. هذه التكنية المنفردة قد وردت في مخطوطة ريحان الالباب وريعان الشباب في مراتب الاداب، لابي القاسم الاشبيلي (ت ٥٦٤ هـ) بصيغة (ابي الحسن)، وهذه رواية الاشبيلي للابيات [٢٧]: واخبر ابو الحسن العروضي ان اليزيدي كتب اليه:

حفظك الله وابقاك لقد كان من الْ
واجب ان تاتينا امس إلى منزلنا الْ
جديد ياأبا الحسن زائراً لتحدث الْ
عهد وما مثلك من ضيع عهداً وغفلْ
عن عهد مشغول بعذر واضح تولاك بالْ
حياطة الله وماذا بابي صنعت في الْ / كتاب

ففي هذا النص المخطوط ورد دليلان يدحضان افتراضات الكعبي:

wadod.org

الاول: ان المخبر بالابيات - أي راويها - هو ابو الحسن العروضي لا ابو الحسين والثاني: ان الرجز نص على ان المخاطب بهذا الرجز كنيته (ابو الحسن) لا ابو الحسين.

٣- تمسك الكعبي بمن جاء ذكره عَرَضاً في ترجمة النهرجوري الشاعر في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي[٢٨] وسماه بابي الحسين العروضي. فصرخ ها قد وجدته، وجدت صاحبي (ابا الحسين العروضي) فهو هذا الذي ورد ذكره عرضا في ترجمة النهرجوري[٢٩]. غير ان الكعبي في غمرة فرحه هذا بكشفه الجديد غفل عن امر مهم خلاصته: انه لم يتحر عن المصدر الذي نقل الصفدي هذه الترجمة منه. يقول هلال بن ناجي: مصدر ترجمة النهرجوري الواردة في الوافي هو كتاب ((ارشاد الاريب إلى معرفة الاديب)) [٣٠]، فصاحب الوافي نقل عن الارشاد باختصار. ومعلوم انه حين يقع الشك في وقوع سقط أو تصحيف أو تحريف، يصار إلى مراجعة المصدر الذي نقل منه الصفدي وهو ((ارشاد الاريب)). وعند مراجعتنا هذا المصدر وجدناه يقول نصا:

((له في العروض تصانيف، وهو به عارف حاذق يجري مجرى ابي الحسن العروضي والعمراني وغيرهما فيه)). اذن فالاصل الذي نقل منه الصفدي في الوافي - وهو كتاب ياقوت - قد ورد الاسم فيه (ابو الحسن العروضي) وليس ابا الحسين. وبذلك خذل المصدر الاساس لترجمة النهرجوري ما تصوره الكعبي دليلا.

٤- والواقع ان الخلط في الكنى بين ابي الحسن وابي الحسين واقع في مصادر كثيرة وانموذجها ما ورد في ترجمة الحسين بن عبدالله الشهير بابن سينا، فقد ورد على لسانه ما نصه: ((وكان في جيراننا رجل يقال له ابو الحسن العروضي يسألني ان اصنف له كتابا جامعا في هذه العلوم فصنفت له ((المجموع)) وسميته به، واتيت فيه على جميع العلوم، ولي حينئذ احدى وعشرون سنة))[٣١].

وفي هامش الصحيفة اثبت محقق الكتاب ما نصه: عيون الانباء: ابو الحسين العروضي، وبالرجوع إلى كتاب ((عيون الانباء في طبقات الاطباء)) لابن ابي اصيبعة الخزرجي - طبعة د. نزار رضا - ص٣٤٩ وجدت المصنف يسمي الرجل (ابو الحسين العروضي) ثم عاد ابن اصيبعة على الصفحة ٤٥٧ من كتابه فقال ما نصه: ((كتاب المجموع ويعرف بالحكمة العروضية، صنفه وله احدى وعشرون سنة لابي الحسن العروضي)).

wadod.org

وهكذا ترى انه حتى المصدر الواحد سماه مرة ابا الحسين العروضي. وسماه ثانية ابا الحسن العروضي. والشخص واحد دونما شك صنف له ابن سينا كتابا سماه ((المجموع)).

وخلاصة هذه الفقرة ان ابا الحسن = ابا الحسين

فكثير من اعلام العربية لهم كنيتان ومنهم سيبويه الذي هو ابو الحسن وابو الحسين وان ورود كنية (ابي الحسن) في شعر كتبه له اليزيدي، قد نُقض بورود هذا الشعر في مصدر اندلسي قديم وكنيته فيه (ابو الحسن) وان تمسك الكعبي بشخص اسمه (ابو الحسين العروضي) ورد عرضا في ترجمة النهرجوري الشاعر، نُقض ايضا لان الصفدي الذي اثبته نقل عن ياقوت في ارشاد الاريب ونص ياقوت اورده بصيغة ابي الحسن العروضي، فيكون نص الصفدي مصحفا. ثم اثبتنا بالشواهد ان الخلط بين ابي الحسن وابي الحسين قديم وقد ورد في مصادر قديمة وكله من تصحيف النساخ. وانتهينا من هذا كله إلى ان كنية ابي الحسين التي كنى بها احمد بن محمد العروضي نديم الخليفة الراضي الله العباسي، هي مرادفة لكنية ابي الحسن التي عرف بها، ولا تصلح دليلا لخلق شخصية موهومة اغفلتها جميع كتب تراجم الرجال.

اغلاط الكعبي المنهجية في رحلته

ان من اظهر الاغلاط المنهجية التي وقع فيها الكعبي وهو يبحث عن مصنف المخطوط اغفاله خصيصة من ابرز خصائص أبي الحسن العروضي عرفه بها مترجموه ووسموه بها. فابرز آيات نبوغه تجلت في ((استخراج المعمى)). ذكر ابو حيان التوحيدي في معرض السخرية من الصاحب بن عباد: ((قد استدرك مولانا على الخليل في العروض وعلى ابي عمرو بن العلاء في اللغة وعلى ابي يوسف في القضاء... وعلى ابن مجاهد في القراءات... وعلى الجاحظ في الحيوان... وعلى (ابي الحسن العروضي) في استخراج المعمى[٣٢])). وهذا الفصل رآه ياقوت في كتاب ابي الحسن العروضي فذكره وهو يصف الكتاب نقلا عن الاسدي فقال: ((ثم ضمّ اليه بابا في استخراج المعمى)) [٣٣]. فباب استخراج المعمى وقدرة ابي الحسن العروضي على استخراج المعمى، هي ابرز خصيصة علمية عرف بها، اضافة إلى قدرته الفائقة في تقطيع العروض وهي قدرة قال عنها ابو علي الفارسي وقد احتاج إلى ان يستشهد ببيت قد تكلم عليه في التقطيع: وقد كفانا ابو الحسن العروضي الكلام في هذا الباب. وحين ننعم النظر في المخطوطة العروضية نجد ان بابا من ابرز ابوابها هو باب ((استخراج المعمى)). ولم يذكر احد ان ابا الحسين العروضي - الذي تخيل الكعبي وجوده وعجز عن اثبات ترجمة قديمة له - انه هو الآخر قد عرف بمقدرته على استخراج المعمى أو انه صنف فيه. وبالتالي فان ظهور هذا الباب في المخطوطة المجهولة المؤلف بهذه الدقة والضخامة والتميز يشكل

wadod.org

دليلا مهما على انه من تصنيف ابي الحسن احمد بن محمد العروضي نديم الخليفة الراضي بالله العباسي، وليس شخصا آخر تخيل الكعبي وجوده بلا وجود، وظل طيلة سبعة اعوام يبحث عن ترجمة له في أي مصدر قديم فلم يفتح الله عليه.

الحيرة في البحث عن ترجمة

أحس الكعبي بمحنة وفراغ كبير لعدم عثوره على ترجمة في مصدر قديم لصاحبه الموهوم ﴿ ابي الحسين احمد بن محمد العروضي النديم ﴾ فذهبت به الظنون مذاهب شتى حتى قال [٣٤]: ((لو كانت لمؤلفنا ترجمة في المعاجم لكانت انسب كلمات في وصفه لصفته التي عرفناها له في هذا الكتاب، هي تلك التي ذكرها ياقوت لمن سماه دون توضيح بابي عبدالله العروضي الصقلي ... ثم يواصل الكعبي كلامه فيقول: ودون تطويل نقول انه: تبين لنا ان هذه الكلمات اليق باقباسها هنا للنديم العروضي صاحب تاليفنا الذي تعرفنا عليه ... يقول ياقوت (ارشاد الاديب ص١٥٣١-٣٢) ابو عبدالله العروضي الصقلي احد العلماء الرواة الحفاظ الثقات العالمين بجميع التواريخ والاخبار وملح الاداب والاشعار كان مسامر الملوك والامراء ومنادم السادات والوزراء عالما بالغناء اربى فيه على المتقدمين وعلمه بالعروض والقوافي والاوزان كعلم الخليل وله شعر ... يقول الكعبي: وليس فقط لفتنا في هذه الكلمات وصف المنادم لصاحبنا بل هذا العلم الكبير الذي قرنه بالخليل. وهو لعمري ما ينطق به كتابه الذي بين ايدينا وتلك النقول والاستشهادات الكثيرة التي وجدناها له في مؤلفات المتاخرين. يقول هلال بن ناجي وهكذا اصبح مصنف المخطوطة (ابو عبدالله العروضي الصقلي) لانطباق الصفات التي اسبغها ياقوت على الصقلي هذا، وهو يترجم له مع الصفات التي انماز بها العروضي في مخطوطته !!

وبهذا اللون من التأرجح والتخبط والخلط واللاعلمية في البحث يريد الكعبي ان يقنع جلة المحققين التونسيين والعرب.

اسانيد ساقطة علميا

قال الكعبي[٣٥]: وننهي هذا الفصل حول نسبة الكتاب لابي الحسين العروضي وليس لابي الحسن العروضي ان هذا الاخير ذكر بعض شراح القسطاس للزمخشري اقوالا برمتها منسوبة اليه باللفظ ولا نجدها في المخطوط المجهول... ثم جاء بشاهد على هذه الاقوال غير الموجودة في المخطوطة التونسية ليثبت ان هذا الكلام قد خلت منه المخطوطة التونسية وانه لا يدخل في مجال الفلسفة العروضية لمصنفها التي افترض انه (ابو الحسين النديم).

wadod.org

يقول هلال بن ناجي: وحين انعمنا النظر في هذا المقتبس لنعرف مصدره وجدنا الكعبي يذكر ما نصه ((الحاشية رقم ١ ص٥٠ من القسطاس في علم العروض تاليف جارالله الزمخشري، تحقيق فخر الدين قباوة - المكتبة العربية - حلب - ١٩٧٧)). وعجبنا كيف لم يسأل الكعبي نفسه عن قيمة هذه هذه الحاشية علميا. افتراضان يدوران حول هذه الحاشية، فهي اما ان تكون من حواشي المحقق (قباوة) فالمحقق مطالب بان يذكر مصدره الذي نقل عنه ويبدو انه لم يفعل، واما ان تكون موجودة على هامش احدى المخطوطات المعتمدة فاثبتها المحقق على هامش الصفحة حيث وردت، فالمحقق ملزم آنذاك بتوثيقها، إذ لا يصح ان نورد كلاما منسوبا لعالم من السلف ورد على هامش مخطوطة دون ان نوثق صحة هذه النسبة. والكعبي هو الآخر مطالب بالتحري عن مصدرها وتوثيقه لاستشهاده بها. فما الدليل العلمي على انها من كلام ابي الحسن العروضي، ليقال بعدها انها لم ترد في المخطوطة التونسية !!

والواقع -بحكم تجربتنا- ان فخر الدين قباوة كان في كل اعماله التحقيقية يتجنب افتراع المخطوطات الابكار، ويعمد إلى المحقق المطروق لسهولته بعد ان يضيف مخطوطة اخرى ظفر بها. فـ (القسطاس المستقيم) كتاب عروض للزمخشري حققته الدكتورة العراقية السيدة بهيجة الحسني واعتمدت في تحقيقها مخطوطات لايدن وتوبنجن ومصر من الكتاب المذكور، ونشرته في العراق سنة ١٩٦٩. وهي استاذة بلاغة مختصة باثار الزمخشري ونشرت كثيرا منها. وبعد عشرة اعوام من صدور نشرتها عمد (قباوة) إلى نشر طبعته، وقد جاء بهامش (نفل) لا يعرف مصدره بالتفصيل الذي ذكرناه. اكثر من هذا فالعبارة الاخيرة من هذا الهامش تشي بانها من ترسل كاتب من القرن العشرين فقد جاء فيها: ((وهذا انما قاله بالنسبة إلى البحور التي تتركب من جزء واحد أو جزأين ، بحيث تتوازن والا فالتراكيب المحتملة اكثر من هذا)).

ففي هذه العبارة تعقيب على ما سبقها، وهو الآخر قاله شخص مجهول. وقد ذكرني هذا بتحقيقات (قباوه) المعروفة، فقد استضافه العراق في مؤتمر ابناء الاثير المنعقد في الموصل ربيع عام ١٩٨٢، فما كان منه الا ان شن غارة شعواء على نصر الله ابن الاثير صاحب المثل السائر متهما اياه بضعف علمه لانه لم ياخذ العلم على شيوخ عصره!! فثارت ضده ثائرة الحضور وسمع من الردود مالم يسمعه طيلة حياته وداعبه بعض شعراء المؤتمر بابيات اذكر منها:

حديثه ناب بلا طلاوه
وطبعه تأنفه البداوه
يامن اليه انتهت الغباوه

wadod.org

غبـاوة سميـت لا (قبـاوه)

وخلاصة هذه الفقرة ان لا قيمة علمية لكلام نسب لابي الحسن العروضي دون توثيق علمي.

أوهام في الوفيات

قال الكعبي[٣٦]: والزجاج توفي قبل ثعلب بعشر سنين على الاقل!

قال هلال بن ناجي: وهذا وهم فوفاة ثعلب معروفة وقد كانت عام ٢٩١هـ والزجاج توفي عام ٣١٠هـ، فثعلب هو الذي توفي قبل الزجاج بنحو عشرين عاماً[٣٧].

زمن تأليف الكتب

وغلط آخر وقع فيه الكعبي حيث تحدث عن زمن تأليف المخطوط بما نصه[٣٨]:

((يكون تقديرنا أنسب -الى حد معلوماتنا القليلة عنه- لتقريب تأريخ تأليفه لكتابه بمطلع القرن الرابع)).

يقول هلال بن ناجي: وهذا كلام مردود بما ذكره ياقوت: فقد قرأ هذا المخطوط على مصنفه العروضي عام ٣٣٦هـ. والارجح في نظرنا انه صنفه بعد وفاة الراضي وقد وقعت عام ٣٢٩هـ، اذ جاء بعده خليفة لا يحب مجالسة احد ولا يريد ندماء. فتفرغ العروضي وانقطع الى علمه وصنف كتابه بعد عام ٣٢٩هـ، وقرأ عليه عام ٣٣٦هـ كما ذكر ياقوت، وتوفي المصنف عام ٣٤٢هـ.

يستند الى مخطوط يخذله

استند الكعبي في نسبه المخطوط الى من لقب بالنديم الى مخطوطة ((الفوائد الصفدية)) للخالدي الصفدي. ولكن مؤلف الفوائد الصفدية لم يذكر هذا اللقب على الاطلاق بل سماه: احمد بن محمد العروضي تلميذ الزجاج فكيف يصح هذا الاستناد ومخطوطة ((الفوئد الصفدية)) تخذله[٣٩] ؟؟

اسلوب يرفضه المحققون

قال الكعبي[٤٠]: لكن المتأكد لدينا ان صاحب ابي حيان الذي يسميه في بعض كتبه، وكذلك صاحب المرزباني الذي يسميه في موشحه وينقل عنه هو العروضي المكنى بابي الحسن، وليس العروضي النديم المكنى بابي الحسين.

يقول هلال بن ناجي: ونتساءل: هل يسوغ في اسلوب المحققين العلمي استعمال مثل هذه العبارة ((ان صاحب ابي حيان الذي يسميه في بعض كتبه))! اقول هل يسوغ اطلاق هذا الكلام بلا

wadod.org

توثيق، ففي أي كتاب من كتبه ذكر ابو حيان صاحبنا العروضي، وفي أي جزء؟ واية صفحة؟ واية طبعة؟

ان اغفال الكعبي مثل هذا يضفي على كتاباته لونا من قلة التوثيق والتعجل وعدم الاناة، وكلها ليست من صفات المحققين الاثبات.

من هو اليزيدي؟

قال الكعبي[٤١]:((وبهذه الكنية ذاتها جاء ذكره في شعر انشده اياه اليزيدي على سبيل المعاياة له ونقله في كتابه هذا ((كتاب الفناه في علم العروض))... واليزيدي نحوي وراوية اخبار مشهور توفي سنة وفاة الزجاج (٣١٠هـ) عن سن تناهز الثمانين فيكون فيما يظهر من الابيات .... من اتراب ابي الحسين العروضي ويكون بينهما مايكون بين الاخوان من التودد والتزاور ...)) انتهى كلام الكعبي يقول هلال بن ناجي: وهذا خلط غريب، فاليزيدي الذي توفي سنة ٣١٠هـ هو محمد بن العباس بن محمد بن يحيى اليزيدي، توفي وهو في الثانية والثمانين من عمره وهو صاحب الامالي. فهو ليس من اتراب العروضي، لان ابا الحسن العروضي روى عن عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار، وهذا توفي سنة ٢٨٥هـ[٤٢]، وذكر ياقوت[٤٣] ان ابا الحسن العروضي لقي ثعلباً واخذ عنه، وثعلب توفي سنة ٢٩١هـ. فاذا افترضنا انه روى الحديث عن عبيد بن عبد الواحد وعمره (١٥) سنة واخذ عن ثعلب وعمره عشرون عاماً فيكون من مواليد عام ٢٧٠هـ. فكيف يكون هذا اليزيدي من اترابه واليزيدي قد ولد سنة٢٣٠هـ او قبلها بعامين؟ ثم هذا اليزيدي الذي لم يذكر اسمه في المخطوط ما الدليل على انه محمد بن العباس المتوفى سنة ٣١٠هـ بالذات؟ وليس غيره من اليزيديين؟ محمد بن العباس اليزيدي لم يكن شاعراً بل كان راوية للاخبار والاداب عالماً بالنحو والادب والنوادر وكلام العرب، اخذ عنه الزجاجي، وابو بكر الصولي، وابو الفرج الاصبهاني وغيرهم. لكنه لم يكن شاعراً، واليزيدي الذي ورد ذكره في المخطوطة شاعر، داعب ابا الحسن العروضي بشعر على سبيل التعمية. فلا بد ان يكون يزيدياً آخر. وانا ارجح ان يكون احد اثنين من اليزيديين كانا يشاركان ابا الحسن العروضي المنادمة في مجلس الراضي بالله. هما اسحاق بن ابراهيم بن يحيى، او علي بن ابراهيم بن يحيى.

سلسلة الاحلام

وما كنت اريد ان اهدم الكشف العلمي الذي تخيله الكعبي لنفسه، لولا ترنحه علينا وترنمه، وتكراره الحديث عن اجاده الفكرية في امر مخطوطة العروضي، وتعمده غمزنا ولمزنا والصاق تهمة الجهل بنا، ثم كشفه عن اقليمية بغيضة متصوراً ان المخطوطات التي تضمها المكتبة الوطنية بتونس

wadod.org

ملكه الشخصي فهو يصدر امره بالتحكم فيها، متجاهلاً ان العلم ليس له وطن ولا يمكن احتكاره والحجر عليه، وان هذه الاقليمية ليست من خلق العلماء ولا انصافهم.

وهو بعد هذا يتصور الشعب العربي في تونس (امة تونسية) وان هذه الامة قد اغتصبت حقوقها حين حصل محققان عراقيان على مصورة اثر جليل لعالم عراقي تحوزه دار الكتب الوطنية التونسية، فحققاه ونشراه، دون ان يفوتهما في مقدمة تحقيقهما اسداء الشكر الجزيل لمن صور لهما هذا الاثر، مع الاشارة الى مظنة وجوده في دار الكتب الوطنية بتونس بكل امانة وتجرد.

فأية روح علمية واية عروبة يتحدث عنها الكعبي بعد قوله:((اسفنا ان يقع التضييع اولاً في حقوق ملكية اصحابه له الى حين استقراره بدار الكتب الوطنية (بتونس) بما ذلك ملكيتها له)). وقوله:((وكل العالم يعرف كيف يحافظ على تراثه ويمنع احتمال الاتجار به دون حفظ حق الامة فيه)).

ونتساءل: اية حقوق ملكية انتهكناها ونحن نصور المخطوطات من شتى بقاع العالم من مكتباتها العامة مباشرة او بواسطة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة او بواسطة بعض المعارف، وانه من بين اكثر من مئة مخطوط حققته ونشرته على امتداد الارض العربية لم اسمع احداً ادعى ما ادعاه الكعبي، وهو ادعاء يعكس اقليمية بغيضة ينكرها العلم ويرفضها العلماء.

ثم تطاوله وغمزه النشرتين التونسية والعراقية بقوله:((ثم التصرف بتلصيق العناوين بغلافه عند طبعه في طبعتين ليست احداهما اهون من الآخرى في حجم الخلل والاضطراب في اوراقه والنقص في تخريج استشهاداته واقواله وترتيب ابوابه وسوء القراءة لبعض فقراته...)).

ثم ادعاؤه بان حقوقه قد غمطت من قبل المحققين بقوله:((فلما كنا احد من وقع الغمط في حقوقه بمراجع اصحاب الطبعتين نهضنا للتصحيح في نشرتهما)) فاية حقوق له غمطناها، واي مرجع حبره ونشره رجعنا اليه ولم نذكره في قائمة مصادرنا ومراجعنا؟

لقد توهم الكعبي انه حين نشر مقالاته النقدية في صحيفة محلية تونسية، بادرت وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة في تونس بنقلها ثم باشاعتها على امتداد الوطن العربي بالفاكس والانترنيت، وان سفارات تونس وملحقيها الثقافيين حملوا هذه المقالات واشاعوها بين علماء العراق ومصر والسعودية وغيرها، فتلقفها هؤلاء وانتفعوا بها. ونحن في رأيه قد اطلعنا على مقالاته هذه، فبادرنا الى تحقيق المخطوطة في العراق وطبعها في لبنان وتصديرها الى تونس في شهر واحد.

wadod.org

ولاننا كنا في عجلة من امرنا -تحت وطأة حملاته النقدية على طبعة جعفرماجد- فقد اغفلنا التصحيحات التي حررها على نشرة جعفر الاولى فلم نأخذ بها!!

ودليله على ذلك ان ملحقهم الثقافي في بغداد (لا شك) قد بادر باصدار اعمام (نشرة خاصة) وزعه على جمهور المثقفين التراثيين والجامعات العراقية يعلمهم فيه تفاصيل المعركة الادبية الجارية بتونس وبانتصارات فارسها الدكتور الكعبي على اعلام التونسيين الافاضل: جعفر ماجد وعبد القادر المهيري والوهايبي والشعبوني والطرابلسي و وجلول عزونة. ولايظن القراء انني أقوّل الكعبي مالم يقله، فقد قال هذا وزيادة في مقال له جاء فيه نصاً[٤٤]:((مقدمة التحقيق الجديد مؤرخة قبل ست سنوات، ولكن تاريخ الطبع بعام ١٩٩٦، وعلى تقدير ان المحققين لم يلما بالمعركة الدائرة حول السيرافي منذ اربعة اشهر ولا جرائد منا تأتيهم ولا ملحقين ثقافيين منا يصلونهم باخبارنا، ولا بعثات ولا ندوات ولا اسفار ولا اتصال، بينما نحن في تسمع دائم لما تنشره دورهم الكبرى والصغرى وجرائدهم المحلية والعالمية. أم انهم انقطعت صلتهم بالحركة الثقافية والعلمية في تونس بعد الحصول على مصورة من هذا المخطوط، واننا لسنا اكفاء الا في المحافظة على كتب البغداديين او الامويين، والا فكيف يفسر ان لا يذكر من شأننا الا اننا وجهنا لهم مخطوطا لعالم بغدادي ضائعاً عليهم. افلم تتفق الجامعة على كذا طالب واستاذ للقيام باطروحات حول هذا المخطوط، اولم يشغل نفسه اكثر من باحث بدرسه وتحليله في مجلة او على ظهر جريدة عريقة لانشك في تجاوز توزيعها الحدود. أم يعجز الفاكس في عالمنا عن حمل مستجدات البحث والنقد والتعليق بين جامعاتنا ومعاهدنا ونوادينا؟)).

تقرأ هذا الكلام فتعجب وتتساءل: هل ان كاتبه يعيش خارج الوطن العربي فلا يعرف محنة العراق؟ وهل حقا يوجد في بغداد ملحقون ثقافيون تونسيون يوافون جماهير العراقيين بمستجدات ما يجري من معارك ثقافية على الساحة التونسية؟؟ ثم اية جرائد تونسية تصلنا وبلدنا محاصر منذ (اوت) ١٩٩٠ حصاراً لا نظير له في التاريخ الحديث، حرم علينا ان نقيم معارض الكتب السنوية التي كنا نقيمها؟ بل دعني اسأل الكعبي: هل سمع بمشاركة تونس الشقيقة (منذ فرض الحصار حتى اليوم) في معرض واحد من معارض الكتاب عندنا، وقد انطفأت بمرور السنين العجاف. هل يجهل الكعبي اننا نعاني حصاراً جوياً وحصاراً ثقافياً وحصاراً صحياً واقتصادياً وعسكرياً؟؟ حجب عنا الكثير من امور الثقافة في وطننا العربي الكبير.

ثم ما علاقتنا نحن بما قد يكون جرى في الجامعة التونسية منذ عقدين من السنين او اكثر من تكليف طالب باعداد اطروحة عن مخطوطة ما؟

wadod.org

وهل بيننا نحن المحققون العراقيون من يعرف امر كل الاطاريح التراثية في الجامعات العراقية نفسها، وقد بلغت عشرة جامعات، لنتطلع بعدها الى معرفة خبر اطروحة قدمت الى جامعة تونس قبل ربع قرن من الزمن؟

واحب ان اضيف: انه لولا لطف العلامة ابي القاسم محمد كرو والصديقين الحاج الحبيب اللمسي ونور الدين صمود، ما كان بامكاني الوقوف على مطبوعيك: صنعة الشعر للسيرافي غلطا، ورحلة تحقيق في مخطوط مجهول ومقالتك الموسومة السيرافي بالعروضي غلطا.

ماذا بقي للكعبي؟

انا في الاصل رجل قانون، أميل الى العدل والانصاف بحكم ثقافتي ومهنتي، وبالتالي لايمكن ان اتغافل عن مآثر الكعبي في ميدان تحقيق عنوان المخطوطة المجهولة، وفي ميدان تصويب قراءة كلمة مهمة فيه. فأما عنوان المخطوط فقد ظل مجهولاً، حتى ظفر الكعبي به في مخطوطة الفوائد الصفدية ((فاذا هو: كتابٌ ألفناه في علم العروض)) وهي معلومة جديرة بالاعتماد في الطبعات القادمة للكتاب.

وأما التصويب المهم الذي توصل اليه فهو ان المؤلف او الناسخ كان يستعمل لفظة (كتاب) بمعنى (كتابة). وهذه اللفظة اوهمت جعفر ماجد واوهمتنا بان لمصنف المخطوطة كتاباً في ((ألفات القطع والوصل)). فكشف الكعبي ان كلمة (كتاب) حيثما وردت في المخطوطة تعني (كتابة). وقد اخذنا برأيه في طبعتنا الثانية للكتاب التي صدرت في القاهرة عام ١٩٩٩. واشرنا في موضعها الى فضله هذا وهذان الفضلان الثابتان له، هما كل ما صح له وبقي. وسبحان القائل في قرآنه الكريم:(فأمّا الزَبَدُ فيذهب جُفاءً، وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).

كلمة اخيرة

اقولها تعقيباً على ما وصفني به الكعبي اذ قال: ((واذا التحقيق لاثنين عراقيين احدهما اعرفه من خيرة من يبحث عن المخطوطات حتى في أجواز الفضاء ، وكان لسنوات عديدة بيننا في تونس ملحقا ثقافيا هو الاستاذ هلال ناجي، وهو من اسرة مشهورة بالعلم وبفنون الخط العربي خاصة. وكان ربط المودة من اجل هذه المخطوطات التي تكتنز بها بلادنا مع كثير من اهل العلم او التجارة في العلم بالكتب والمخطوطات)).

وانا اشكر لصديقي القديم د. المنجي الكعبي كلامه هذا واصححه في الآتي: ((انا لم اكن ملحقا ثقافيا بتونس يوما ما. لقد كنت في المدة بين جوان ١٩٦٥- الى جوان ١٩٦٨ قائما باعمال سفارة العراق في تونس، والقائم بالاعمال مرتبة تلي مرتبة السفير، فهو القائم باعمال السفير، وبين

wadod.org

الملحق الثقافي - الذي هو في الغالب غير دبلوماسي - وبين درجة القائم باعمال السفارة بدرجة مستشار، خدمة في السلك الخارجي تناهز الربع قرن من الزمن.

فليس منطقيا ان يوصف المنجي الكعبي بانه معلم - والمعلم عندنا يتولى التعليم في المدارس الابتدائية، في حين انه دكتور بدرجة الاستاذية في الجامعة. وهذه واحدة وليست مهمة.

والشكر له ثانية ان نسبني الى اسرة مشهورة عنيت بفنون الخط العربي خاصة، وهو امر حق لكنني استغربت ان لم يجد لي محمدة او صفة يذكرها غير انتسابي لاسرة علم تهتم بالخط العربي. وتجاهل -وربما دون قصد- مئة واربعين كتابا طبعت لي، صنفتها او حققتها او نظمتها في اربعة عقود من الزمن. واغفل حتى رئاستي لاتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين لعدة سنوات فضلا عن الجوائز الكثيرة التي نلتها محليا ودوليا. وهذه الآخرى ليست مهمة ايضا.

اما ان ينعتني بانني من اجل مخطوطات تونس ربطت المودة مع كثير من اهل العلم او التجارة بالعلم فيها - فهو الامر المهم - وهو ما لا ارضى ان ينزلق قلمه اليه، وان ينزه ذهنه عنه، لقد كانت صلتي بهؤلاء الاعلام التونسيين - صلة ادبية وعلمية خالصة لوجه الادب والعلم لا تشوبها المطامع - كما تخيل الصديق الكعبي - هي صلة الاديب بالاديب وفرحة الاديب بالاديب بل قرابة الاديب بالاديب. ومثل هذه الصلة كانت لي بادباء مصر طيلة ثلاثة اعوام وزيادة كنت فيها ضيف مصر. واخوة الادب ايها الاخ افضل من اخوة النسب، وقد قال فيها الشعراء الكثير. وقديما قال الجاحظ: الانساب اربعة: اولها: المودة، وثانيها: المهنة، وثالثها: الجوار، ورابعها: النسب. وقد دفعني الوفاء لبلدكم العريق الذي نعمت بافيائه ونشقت اطيابه، والوفاء لاعلامه، ورغبتي في تعريف اخواني المشارقة بهم، ان اتورخ لاكثر من أربعين علماً - نصفهم ممن لم أرهم او ادركهم- وقد وقع ذلك في الجزء الاول من موسوعة اعلام العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين، وقد صدر عن بيت الحكمة في بغداد عام ٢٠٠٠. وكان هذا كله تعبيراً عن خليقة في اخيك - تغافلت عنها - وهي خليقة الوفاء، التي امتازت بها امة العرب، وحث عليها القران الكريم في عشرات الايات.

فهل تظن بعد هذا انني ربطت علائق المودة مع اهل العلم في بلدكم من اجل مخطوطاته، وفي خزانتي مئات المصورات لأنفس المخطوطات الادبية التي صورتها من المكتبات العامة من جامعة برنستون في امريكا وحتى طهران.

رحمك الله اخي ومنحك القدرة على التميز بين الرجال...

وكتبه ببغداد مدينة السلام
طالب عفوه الراجي
هلال بن ناجي

wadod.org

الهوامش

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية - القاهرة - المجلد/٤٠ - الجزء الثاني - نوفمبر ١٩٩٦ (ص ١٥٩-٢١٤).

(٢) صنعة الشعر للسيرافي غلطا، ص٣٧-٣٨.

(٣) المصدر السابق، ص٨٠.

(٤) الوافي بالوفيات: الصفدي - باعتناء احسان عباس - الجزء السابع ، ص٢٣٨.

(٥) الموشح: ابو عبيدالله محمد بن موسى المرزباني - تحقيق علي محمد البجاوي - دار نهضة مصر - القاهرة - ١٩٦٥- (ص ٢٢-٢٣).

(٦) وافانا بهذا النقل مشكوراً المحقق المغربي الاديب عبدالعزيز الساوري نقلاً عن مخطوطة الاشبيلي المحفوظة في الخزانة الحسنية بالرباط (الورقة ٦٢و).

(٧) مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة - المجلد / ٤٠ - الجزء الثاني - نوفمبر - ١٩٩٦- (ص ١٧٥-١٧٦).

(٨) الحياة الثقافية - العدد ١١٩ - نوفمبر ٢٠٠٠ - تونس.

(٩) الوافي بالوفيات : الصفدي - الجزء السابع - باعتناء احسان عباس - ص ٣٢٩.

(١٠) رحلة تحقيق في مخطط مجهول - ص٦.

(١١) المصدر السابق - ص١٣.

(١٢) رحلة تحقيق في مخطوط مجهول - ص٨، والصواب: حمس الاستاذين العراقيين... بين ايديهما.

(١٣) كتاب اخبار الراضي بالله والمتقي لله من كتاب الاوراق لابي بكر محمد بن يحيى الصولي - نشرة هيورث دن - القاهرة - ١٩٣٥ - (ص٨-٩ وص٤٤-٤٥ و١٩٣-١٩٦).

(١٤) مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي - دار الاندلس - بيروت - ج٤ ، ص٢٣٧-٢٤٥.

(١٥) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية في القاهرة ص٩١٩.

(١٦) لسان العرب: مادة ندم.

(١٧) تاج العروس: ج٩ ص٧٤.

(١٨) الاشربة لابن قتيبة ، ص٣٥-٣٦- تحقيق محمد كرد علي - دمشق ١٩٤٧. العقد الفريد - ابن عبد ربه ج٤، ص٣٢٠ - القاهرة. قطب السرور للرقيق القيرواني، ص٢٨٥- تحقيق احمد الجندي - دمشق ١٩٦٩ - حلبة الكميت ص٢٥- مطبعة ادارة الوطن - القاهرة - ١٢٩٩ هـ.

(١٩) ديوان امرئ القيس، ص٤٣.

(٢٠) كتاب الاوراق - قسم اخبار الراضي بالله والمتقي لله - تحقيق هيورث دن ، ص٨.

wadod.org

(٢١) أي الخليفة الراضي بالله العباسي.

(٢٢) اخبار الراضي بالله - الاوراق - الصولي، ص١١٥.

(٢٣) مروج الذهب: المسعودي، ج٤ ص٢٤٠-٢٤٢.

(٢٤) المصدر السابق، ج٤ ص٢٤٥-٢٤٦.

(٢٥) لزوم ما لا يلزم - الجزء الأول، ص٣٨ - تحقيق إبراهيم الابياري - القاهرة ، ١٩٥٩.

(٢٦) معجم الادباء - ياقوت الحموي - طبعة احمد فريد الرفاعي، ج١٨ ص٣٠٩-٣١٠.

(٢٧) اشرنا إلى ذلك في الهامش السادس.

(٢٨) الوافي بالوفيات: للصفدي، ج٨ ص٣٠١-٣٠٢.

(٢٩) رحلة تحقيق في مخطوط مجهول، ص٣٤.

(٣٠) ارشاد الاريب: ياقوت - طبعة مرجليوث، ج٢ ص١٢٠-١٢٢.

(٣١) معجم الادباء - ياقوت - طبعة احسان عباس، ص١٠٧٢.

(٣٢) الامتاع والمؤانسة: التوحيدي - تحقيق احمد امين واحمد الزين- بيروت، ج١ ص ٥٨-٥٩.

(٣٣) معجم الادباء (ارشاد الاريب) - طبعة مرجليوث، ج٢ ص٧٦.

(٣٤) رحلة تحقيق في مخطوط مجهول، ص٣٨-٣٩.

(٣٥) رحلة تحقيق في مجهول مخطوط ص٣٧.

(٣٦) رحلة تحقيق في مجهول مخطوط ص ٣٦-٣٧

(٣٧) ثعلب: ابو العباس احمد بن يحيى الشيباني النحوي (٢٠٠-٢٩١هـ) ينظر في ترجمته: نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي البركات الانباري ص١٧٣-١٧٦. انباه الرواة ١/١٣٨/ ١٥١ تاريخ بغداد ٥/٢٠٤ وله ترجمة لطيفة في مقدمة كتابه مجالس ثعلب حبرها فقيد التراث عبدالسلام محمد هارون وله ترجمة موسعة في مقدمة كتاب شرح فصيح ثعلب بتحقيق عاطف مدكور.

(٣٨) رحلة تحقيق في مخطوط مجهول ص٣٨.

(٣٩) رحلة تحقيق في مخطوط مجهول ص٨٠.

(٤٠) المصدر السابق، ص٣٥.

(٤١) المصدر الاسبق، ص٣٤.

(٤٢) سير اعلام النبلاء الذهبي ١٣/٣٨٥: وتاريخ بغداد ١١/١٠٠.

(٤٣) معجم الادباء: ياقوت - طبعة مرجليوث ، ج٢ ص٧٥.

(٤٤) جريدة الصحافة التونسية، ١٦ ماي، ١٩٩٦.

wadod.org

إصدار خاص

ستصدر «الذخائر» عدداً خاصاً وثائقياً
عن منطقة الخليج والجزيرة العربية
وتأريخها وأعلامها
وما كُتب عنها وتحت أبوابها الثابتة

وأسرة التحرير إذ ترحب بما يرد إليها من أبحاث
ودراسات وتحقيقات بهذا الشأن
وستصدر أعداداً خاصة - تباعاً -
عن الحواضر العربية والإسلامية الكبرى